

نزار... وأنا

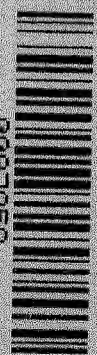
الحوار

المحاور

مفيد فوزي



Bibliotheca Alexandrina



0097858

عربية

كتاب

نزار.. وأنا

أطول قصيدة اعتراف

مفيد فوزي



● موضوعات الحوار

| | | |
|-----|--|-----|
| ١٩ | دمشق الأنثى الأولى | ١٩ |
| ٣١ | العقوبة الأكبر | ٣١ |
| ٣٩ | امرأة لا تكرر نفسها | ٣٩ |
| ٤٩ | القصيدة لا تعرف الجلوس | ٤٩ |
| ٦٣ | عبد الوهاب وأنا | ٦٣ |
| ٧٥ | بلقيس تزوجت هيروشيما | ٧٥ |
| ٩٠ | الرجل الشرقي لا يحبني | ٩٠ |
| ١٠٣ | بهية المصرية: أمي! | ١٠٣ |
| ١١٥ | مايكل جاكسون .. (أمير الشعراء) | ١١٥ |
| ١٣١ | صوت من لا صوت لهم! | ١٣١ |
| ١٤٥ | المرأة تصطاد السياسي | ١٤٥ |
| ١٦١ | نحن ندفع ضريبة الإبداع! | ١٦١ |
| ١٧٩ | الفرق بين السياسي والشاعر ... كبيرا! | ١٧٩ |

الهدي

الى ارقه طاغية .. عرفته .

الى ديكتاتور ناعم .

الى مفيد شريف حليم

الذي استعجل السني

الأيام

ليكر ويقرأ حواري ويدرك

اله " جدو " كانه بهوما بصناعة

الكتابة ولعله يغفر لي انه كانه

عندي عذر حيره كنت انصرف

عنه اللعب معه !

وهذا يستند هوذا الأخضر

و تنقصه التكنولوجيا على العصر

قد تكون " المرحل قميصة اعتراف "

لشاهر هزي ، نتره ينافس

شعره " ، نافذه فرج ورومانيه .

نفي صلاحي الصامته اطلب حول الحمر

فقط لاري عينيكم تشرب من

حلقا " ، فهل يحقوه الله امين

ب

ايماننا

وذلك

جدو

مفيد فوزي

هيف ٩٨

● ملاحظة :

لا يحمى الحوار من الضياع والتبخر
إلا ذراعى كتاب
فبين أحضان الكتاب يستقر أطول اعتراف
للشاعر نزار قباني نشرته « كل الناس »

الاخراج الفنى : سعيد المسيرى



أنا لست «سوبرمان»!

٩٩ قلت لامرأة جميلة... أنت

لا تلهميني حرفاً واحداً ٩٩

أنا لست «سوبرمان»!

«تصل الحميمية بينى وبين القارئ إلى الحد الذى اكشف له غموض اللعبة الصحفية، وأسلط إضاءة خاصة يعرف فيها كل الزوايا، فلا أسرار على قارئ لبيب، وفى نفس الوقت أومن . كما سمعت من الروائى الايطالى الراحل البرتو مورافيا . أن كواليس الحديث جزء من الحديث ذاته ينقل بعدسات القلم «الجو والنكهة والانبساط والانكماش والبوح أو اللابوح» وسمعت أيضا من مورافيا . وكنت أحاوره فى روما . أن «أحاديث الكاتب هى عنصر مكمل لإنتاجه، لأنها فى نهاية الأمر هى خلاصة رؤاه فى الحياة والفن والحب والموت».

كنا فى «كل الناس» قد قررنا التحاور مع الشاعر الكبير نزار قبانى، وأوكل لى عماد الدين أديب مهمة (المحاور) ربما لأنى . على حد تعبيره . أملك موهبة «ثقب الصمت» والإبحار فى النفوس البشرية كملاح تروق له «موانئ» البشر. ولكن لماذا نزار قبانى؟ عندى حيثيات».

حوار ما قبل المذكرات:

أولاً: إنه الشاعر العربي الأكثر شهرة، النجم الساطع في السماء العربية، المتوهج الذي يملك أكبر امبراطورية شعرية بعد امبراطورية المتنبي واستطاع أن يفرشها بقصائده من الماء إلى الماء!.

ثانياً: نزار هو الشاعر النجم الذي أحدثت قصائده في الحب أو السياسة حريقاً هائلاً في الوجدان العربي، ولا توجد إطفائية في العالم العربي قادرة على إخماد هذا الحريق! يكفي أن نعرف أن أحد دواوينه (قصائد) طبع ٢٥ مرة!.

ثالثاً: إن خصوم نزار ومريديه لهم درجة حرارة واحدة وخصومه من أشد قرائه، أما مريدوه، فلقد صارت دواوينه، هي هدايا المحبين في المناسبات.

رابعاً: إن نزار هو مصور دقائق وتفصيل العشق المعاصر بجرأة، تهابها بعض الأجهزة العربية المكلفة برقابة الكتب ودواوين الشعر، ومع ذلك قام «الفاكس» خلسة بإرسال القصائد الممنوعة إلى المخادع وغرف النوم. كل قصائد نزار- والسياسية على وجه التحديد- «بركان أدبي مازال حتى هذه

نزار.. وأنا

اللحظة يلتقى بالحمم فى السهول والأودية العربية، على حد قول الناقد الكبير
شاكر النابلسى.

خامسا: نزار لم يبلغ «سن اليأس الشعرى» (من مواليد عام ١٩٢٣) معطاء يعيش
عصره ويشهد عليه.



وإذا كان الأستاذ نزار قد كتب قصته مع الشعر على امتداد ٥٠ عاما أو
تزيد.. فما زال لديه الكثير من «التفسيرات» و«الايضاحات» و«الشروحات» فقط
يحتاج إلى نبش ذكى واقتراب حنون وصيغة مبتكرة للسؤال، فقد أجاب نزار
قبانى على آلاف الأسئلة والتساؤلات، ولكنه يفضل أكثر أن يكتب بنفسه قصته
قبل أن يكتبها أحد غيره، هو القائل (لا أريد أن يخترعنى أحد) ! ورغم حصيلة
الآراء للشاعر نزار فقد جرينا أن نقتحم خلوته فى شقته الأنيقة بشارع الموصلة
الشهير فى لندن (سلون سكوير).

وأصر عماد أن نقيم فى فندق قرب شقة نزار فكان (شيراتون بارك أوتيل)
الفلكى الأسعار حتى فى نهايات الأسبوع! أتذكر وأنا أتكلم معه فى التليفون أن

أطول قصيدة اعتراف

قلت له:

«فرصة أن أرى الموضنة الرجالي في الحى الذى تسكن فيه، لأقترب من أناقتك» .

رد نزار وقال:

إنه ليشربنى أن أكون أول شاعر ينهى أسطورة الشاعر الشحاذ.

قلت: نريد أن نتحاور مع العقل النادر وقبيلة الشعر المتحركة لنصل معك، - عبر حوار متفجر - إلى ماخلف النقاب والحجاب!

ضحك نزار قباني وقال: هذا عمل أمنى!

عدت أقول:

إذا كنت بقصائدك تشعل الحريق في الوجدان العربى، فماذا يمنع الغور في أعماقك .. لقد أعددنا لك - فى كل الناس، أكثر من مائة وخمسين سؤالاً .. (عماد أديب وأنا) هل أتجاوز قدرى كمحاور إذا كنت أريد (أطول قصيدة اعتراف لنزار قباني) ؟ .

قال نزار بسرعة خاطر:

أنت تمارس مهمة الكهنة! .

قلت بنفس الإيقاع:

اعترفاتك لكاهن كبير المقام هو الجمهور.

قال نزار:

فى هذه الحالة، لا أعتذر عن لقاء هذا الكاهن، بل أرحب به، وأحب أن أضيف لك أنه إذا كان هناك ثمة احتفاء بى فى أى بلد عربى، فهو ليس لى، إنه، للشعر.. صدقنى!.

قلت:

من أجل هذا سنجىء لك، احتفاءً بشاعر كبير أصابعه مبصرة للحب والحرب!.

ضحك نزار- عبر التليفون - وقال:

أنا لا أستطيع بالمناسبة إلا الكتابة بعشر أصابع، وأحياناً بأحد عشر إصبعاً، وبعض الأنظمة العربية تطلب منك أن تكتب بنصف أصابعك فقط!.

بعد ثوان، سمعت نزار يقول: أين ذهب صوتك وإيماءاتك وكلمة (نعم) التى تفتح بأدب مسام من يتكلم معك؟.

قلت له:

انشغلت عنك ثوانى حيث دونت فى مفكرة الأسئلة المتفجرة نقطة (الأصابع والشعر). لقد كان د. زكى نجيب محمود يقول: إن اليد هى صانعة الحضارة، وأنت تعترف لى أن الأصابع التى تتلقى إشاراتنا من عقلك صانعة الشعر.

قال نزار: اسمع، قصائدى العاطفية ترقد على صدور المحبين وفوق رفوف قلوبهم، وقصائدى السياسية بما فيها قصيدة بلقيس صارت حزب معارضة، تجاوزت الأشخاص وصارت قضية.



لا أعرف لماذا طافت أمامى صورة بلقيس التى كانت تربطنا (زوجتى وأنا) بها علاقة عائلية حميمة. تذكرت بطاقة نزار التى أرسلها لى من بيروت عشية رحيل بلقيس المفاجئ رداً على برقية عزاء مطولة.

كتب لى نزار يقول:

(أخى مفيد. حين ماتت بلقيس، أيقنت جيداً أنه ما كان فى الإمكان أن تموت امرأة مثل بلقيس ممتة طبيعية، هى الآن تنام وفى حراستها مجموعة مختارة

نزار .. وأنا

من القادة الفلسطينيين الذين أدوا دورهم واستشهدوا، ومكتوب على قبرها:
الشهيدة بلقيس الراوى).

أخذت أفكر فى صدمات نزار قباني (انتحار أخته، موت ابنه، استشهاد زوجته) لكنه فى النهاية رحلات إلى المجهول!

زمن طويل، أعرف أن نزار كان الموت ينام معه، فى الستائر وعلى النوافذ وفى الممرات والكراسى والأمتعة.. ولكنه قال لى مرة (احتجبت بلقيس وأنا فى حاجة إليها فى هذا الوقت بالذات. إذ لا أعرف شيئاً أحتاج إليه فى حياتى قدر شىء اسمه الطمأنينة). وفى كل مرة ألتقى بنزار تزور جلستنا بلقيس ونتكلم عنها وأعتذر عن الحديث عن (الموت). ومرة شخبط فى نزار وقال: اسمع مفيد، فى أمريكا الآن مدارس خاصة تأخذ الأطفال الصغار (٧ سنوات) إلى المقابر ومعهم الزهور، لا تندهب وتنتسع عيناك! هذا يحدث، والأساتذة يشرحون ويتكلمون عن الموت، إنه صديق، ويوما ما سوف نلتقى به، إنهم يزرعون فكرة التآلف مع الموت، وصدقنى أن التعايش مع الموت سوف يحل كثيراً من قضايانا.

عادة، فى الطائرات أقضى الساعات إما (مثرثرا) مع من يجلس بجوارى، أو (التفكير فى مهمتى)، التى تسكننى غالبا، إذا ما سافرت فى مهمة صحفية، وإلا كان رفيقى كتباً ومعلومات قبل هبوط الطائرة أرض البلد، وما سافرت لمقابلة شخصية أحاورها. إلا وطفنت بذهنى فى عالمه ودنياه وشئونه وشجونه!



صباح يوم بارد يغازل المعاطف الثقيلة. كنا ندق على باب شقة نزار وفتح لنا الشاعر الكبير الباب وقالت الشغالة العربية بلهجة حميمة: اتفضلوا، قال نزار فى ود بالغ (أهلا بالفرسان).

حين جلسنا فى صالون بيت نزار الذى أعرفه جيداً، شغل فاروق إبراهيم فى ماكينات التصوير التى يحملها معه من القاهرة، كاميرات وعدسات تقرب البعيد وإضاءة خاصة، وعدسة، خاصة وراء كل هذه الأجهزة، عدسة متميزة هى عينا فاروق إبراهيم.

وقلت للشاعر نزار قبانى: إن فاروق إبراهيم هو مصور الرؤساء والنجوم. لقد كان قريباً من الرئيس السادات، وعمل مصوراً صحفياً فى الرئاسة قرب الرئيس

نزار.. وأنا

مبارك. وكان مصور أم كلثوم الخاص، ورافقها في كل رحلاتها خارج حدود مصر، وكان مصور العندليب عبد الحليم حافظ.

رد نزار:

أنا أعتبر الفرع عقيماً! الفرع ليس مصدراً من مصادري كشاعر، قصيدتي تبدأ حين أنزف عشقاً، الشاعر يبحث عن دراما، أنا في ذروة الفرع يخطر على بالي التراجيديا.

خطر ببالي سؤال مفاجئ:

أستاذ نزار المرأة أم القصيدة؟

وسكت نزار لمدة ثوان..

وقال:

دعني أفكر مادمت تسجل حديثنا وأنت تسألني في مقتل!





من عصفير الطفولة
لم يبق أحداً! ٢٢

دمشق الأثني الأولى!

«يترك الكاتب الكبير نزار قباني هذه المرة ديوان
أشعاره.. ويعود إلى دفتر ذكرياته، ليبدأ معنا أطول
قصيدة اعتراف.
كشف نزار الكثير عن بداياته في فضاء الشعر.
عن علاقته بأمه وأبيه، عن محبوبته الأولى:
دمشق، عن رأيه في العطر والشعر والمرأة».

الخروج إلى الحرية:

قال نزار قباني وهو يستعيد شريط الذكريات:

٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣ ..

يعنى لى الكثير.. يعنى الخروج من رحم أمى المحدود، إلى أبعاد بلا حدود،
ومن المعتقل الإجبارى الذى سجننى به أبواى لمدة تسعة أشهر.. إلى الهواء
الطلق، ومن الاستعمار الجميل الذى يطلقون عليه اسم الأمومة، إلى فضاء
الحرية، ومن السائل الرمادى اللون الذى كنت أسبح فيه.. إلى بحار مشغولة
بالذهب، والفيروز، وألوان قوس قزح..

يوم ٢١ آذار هو يوم الإفراج عنى.. من قفص الحلم الذى كنت أنملل بين
جدرانه..

هو تحولى من جنين متكوم على نفسه، إلى عصفور يريد أن يجرب قدرته
على السفر، وقدرته على التحدى والاكتشاف، وقدرته على مواجهة الريح
والمطر.

لا يهم اليوم الذى ولدت فيه، سواء كان الخميس، أو السبت، أو الأحد..

نزار.. وأندلس

فأى يوم يعطينى حريتى، يكون يوم ولادتى.

أبى وأمى اشتركا فى كتابتى، كل واحد منهما بأسلوبه، أبى كتبنى بأحرف من نار.. وأمى كتبتنى بأحرف من ماء.. هو كان الزلزال.. وهى كانت الحمامة.

هو كان العاصفة.. وهى كانت شجرة الياسمين..

هو كان تشى جيفارا.. وهى كانت مثل رابعة العدوية.

ومن هذا المزيج الذى لا يمتزج.. خرجت أنا أحمل فى دمى شيئا من الأهازيج البدوية، وشيئا من الحضارة الأموية، وشيئا من الموشحات الأندلسية، وشيئا من الأساطير البابلية، وشيئا من الطموحات الفينيقية.. وشيئا من الفسيفساء الدمشقية.. وشيئا من أغانى الحب الفرعونية.. وشيئا من إيقاع الطبول الأفريقية.

صخرة... الشعر

كانت كل القوافل المسافرة من دمشق إلى الصين تتلاقى على جسدى.. وكنت أرى أن قصائد الحب لا علاقة لها بالعرق، أو اللون، أو بالجنسية.. وأن

العشق يجعل من نساء العالم امرأة واحدة.. من ليلى العامرية، إلى كارمن الأسبانية، إلى جانين الفرنسية.. إلى انجريد السويدية..

لى ثلاثة إخوة هم معتز، ورشيد، وصباح. وأخت واحدة هى هيفاء.

الأخ الأكبر معتز يعمل فى التجارة، ورشيد وصباح وأنا عملنا فى الحقل الدبلوماسى، ثم انصرف صباح إلى هوايته فى التصوير الفوتوغرافى، وانصرف رشيد إلى العمل الحر. أما أنا فاعتبرت أن قدرى الأول والأخير هو أن أكون شاعراً.. ولقد دفعت من جراء اختياري ثمناً باهظاً.. وحملت كسيزيف صخرة الشعر على ظهري خمسين عاماً..

ولا أزال أحمل الصخرة.. وأحمل معها مائتى مليون عربى حتى أوصلهم إلى قمة الحضارة، وقمة الثورة، وقمة الحرية..

حجاب.. أبى!

سألت نزار قباني:

• هل كنت طفلاً مدللًا؟

قال: كانت أمى هى الوحيدة التى تنحاز بصورة سرية لأعمالى التخريبية.. وترى فيها نوعاً من (الحدائث).. ولكن الباقين كانوا يخالفون وجهة نظرها، ويعتبروننى كارثة على الأسرة، وعلى المجتمع، وعلى نفسى.

نزار.. وأنا

وعندما عرف أبى ذات يوم أنني أرتكب كتابة الشعر.. قال لأمى: أخشى أن عفريتاً قد ركب هذا الولد.. فخذيه غداً إلى بيت أقرب شيخ لبيخره.. ويكتب له حجاباً يحميه من زيارة العفاريت..

بعد نصف قرن على ماقاله أبى عنى، لا يزال عفريت الشعر يركبنى.. ويمد رجليه.. كما أن كل جلسات التبخير.. وكل الحجابات التى وضعوها حول عنقى.. لم تطرد عفريتاً واحداً من رأسى.. لأن عفاريت الشعر العربى على ما مايبدو أصبح لديها مناعة قوية. ضد كل الحجابات.. وضد كل الخرافات.. والأنتيبايوتيكس..

فى سن السابعة ذهبت إلى المدرسة لأول مرة، وهى (الكلية العلمية الوطنية) فى دمشق.

لم أبك عندما أخذونى إلى المدرسة. ولكن التى بكّت هى أمى.. ولو أن إدارة المدرسة كانت تسمح للأمهات بمرافقة أولادهن إلى المدرسة، لما ترددت أمى لحظة واحدة فى تسجيل نفسها فى قسم الحضانة، والجلوس معى على مقعد واحد..

قصيدة.. شوكولاتة

.. لا أنسى أبدا.. المدرسين الذين لعبوا دوراً حاسماً في حياتي الشعرية. كان أعظمهم الأستاذ خليل مردم بك، لأنه جعل الشعر بالنسبة لي نزهة في ضوء القمر، وحول كل قصيدة. شعر، جاهلية، أو أموية، أو عباسية، إلى (قطعة شوكولاتة).

إن تدريس الأدب العربي للطلاب، فن قائم بذاته، يعتمد على التشكيل الإبداعي، والثقافي، والحضاري للمدرس.

فثمة مدرس يجعل حصة الأدب حديقة تموج بالأخضر، والأحمر، والبنفسجي، وثمة مدرس يجعل حصة الأدب مسيجة بالخوف، كجلسات المحاكم العسكرية.

أما المواد التي كنت أحبها، فهي المواد التي كانت تترك لي هامشاً للحرية.. ولا تقمعي بأرقامها، وجداولها، وخرائطها، وإحصائياتها.. كالحساب، والجبر، والفيزياء، والكيمياء.

كنت أحب كل ما يثير مخيلتي كالرسم، والخط، والموسيقى والرحلات
الكشفية، والمسيرات الطلابية، التي كانت فرصتي الأولى لتدريب حنجرتي على
الصراخ، والاحتجاج، وكسر أبواب (التابويات) و(الجيتويات) ..

حبيبتي .. دمشق

سألت نزار قباني:

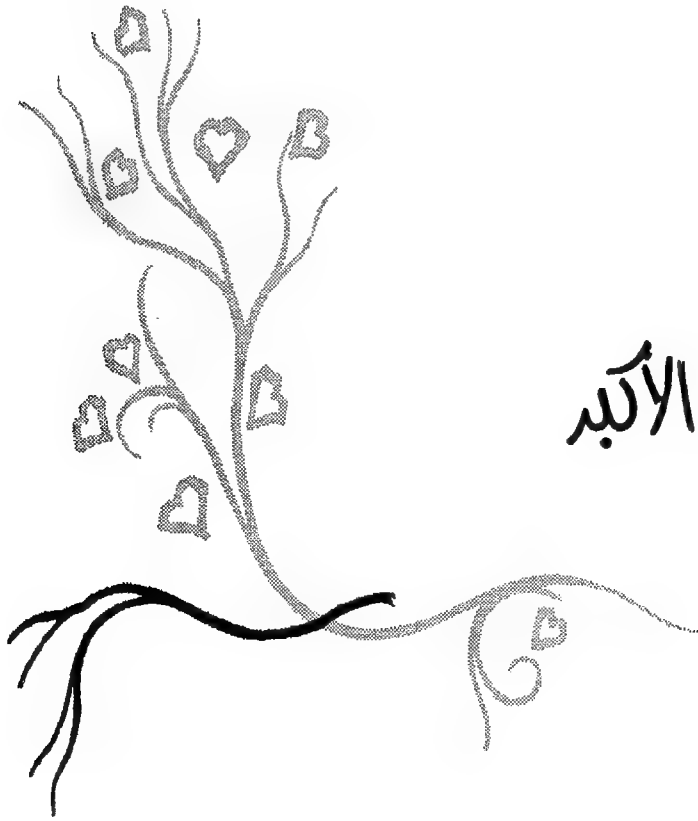
• دمشق .. أين أنت الآن منها؟

قال:

دمشق هي الرحم الأول، والحب الأول، والأنثى الأولى ..

فيزيولوجياً .. أنا محصول دمشق . كالشمش، والتفاح، والياسمين والورد
البلدي .. وحمام المساجد ..

وفولكلورياً، أنا جزء من (الجامع الأموي) ومن (سوق البزورية)، ومن (سوق
الصاغة) و(سوق النحاسين) و(سوق الحرير) و(سوق النسوان) .. وجزء من
رائحة (الغوطة) ورائحة التوابل .. ورائحة الصابون المنبعثة من الحمامات
الشعبية .



العقوبة الأبد

كل الأعمال العظيمة

كانت في بدايتها لعباً! ٩٩

العتوبة الأكبر

بأسئلة محددة لا غموض فيها، أحاول أن أقرأ كف
نزار قباني. ولست من هواة الغوص في المجهول، ولا
أحب أن يقرأ أحد كفى ولا يقرأ أيضاً فنجانى ولم
أفتح المندل يوماً ما!

ولكنى أعترف أنى أدمن قراءة كف المشاهير بنوعية
من الأسئلة تنفذ من المسام وتقتلع الإجابات من
الصدور. وفى بعض الأحيان أكتشف أن الجرح. أى
جرح. فى الشخصية ربما مازال. رغم السنين. أخضرا
ونزار قباني. شاعراً. بسيطاً إلى حد التعقيد، ومعقد
إلى درجة البساطة. والسؤال عند نزار، يغريه بالبوح!

الضحايا في ذاكرتي.. حتى اتخذت قرارى التاريخى بالوقوف إلى جانب المرأة.. والقتال معها فى خندق واحد.. حتى تسترد كرامة عقلها.. وكرامة جسدها.

المجنون الوحيد!

قلت لنزار قباني:

• ماذا كان يعنى لك (اللعب)؟

المتعة، الانبها، أم الاكتشاف؟

قال:

اللعب عندى هو الاكتشاف.

وكل الأشياء التى لعبت فيها فى طفولتى تحولت إلى بساتين من الألوان، والخطوط، والتشكيلات الشعرية.

الطفل الذى يلعب بصدفة على شاطئ البحر... لا يقوم بعمل عبثى، وإنما يحوّل الصدفة بخياله إلى حاملة طائرات.

والفتاة التى تمسك بأصابعها وردة.. إنما تمسك بذراع رجل الأحلام.

والشاعر الذى يلعب بالكلمات والأوزان، يحاول دون أن يدري تغيير حركة الكرة الأرضية.

كل الأعمال العظيمة كانت فى بدايتها لعباً..

بيكاسو أخذته لعبة التكعيبية.

ودالى أخذته لعبة السريالية

وسارتر أخذته لعبة الوجودية

وبيتهوفن أخذته لعبة الإيقاع

ومايكل أنجلو أخذته لعبة الصلصال..

وسيد درويش أخذته لعبة الموج على شواطئ الإسكندرية.

والمتنبى أخذته لعبة الكبرياء.. حتى قتله كبرياؤه.

• المرة التى عوقبت فيها ولا تغادر ذهتك ذكراها.

- العقوبة الأكبر، كانت يوم نقلونى لأعمل دبلوماسياً فى جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٨.

فخلال سنتين قضيتهما هناك

كنت أتكلم بلغة صفراء.. وأضحك ضحكة صفراء.. وأكل رزاً أصفر وأشرب شاياً
أصفر... وأنام على سرير أصفر.. وأكتب على ورق أصفر.. حتى نسيت أن فى
العالم ألواناً أخرى.

● هل تميز أحد من إخوتك عليك؟ وهل ترك فيك هذا أية عقدة؟

.. فى العائلة كنت المجنون الوحيد الذى أصابته لوثة الشعر. لذلك لا أشعر بأية
عقدة نقص أو تفوق.

سألت نزار قبانى:

● هل صادقت الحيوانات فى طفولتك؟ قطرة.. كلب.. ببغاء؟

قال نزار:

الكائن الجميل والوحيد الذى أحببته.. هو المرأة.. ورغم أنها أشبعتنى..
خريشة.. إلا أننى ظللت أحبها.

أحلام الكاوبوى!

● مع كنت تخاف فى سنوات عمرك الأولى..

ثم ذاب هذا الخوف مع الوعى؟

- كنت أخاف من معلم الرياضيات .. وطبيب الأسنان ورجال الشرطة .. ولا أزل أخاف منهم حتى الآن .

• طفولة مَنْ مِنْ ساسة العالم، تود أن تعرفها، وما الأسباب؟

- أريد أن أعرف شيئاً عن طفولة الخليفة عمر بن الخطاب .. ومن هي مربيته؟ ومن هم أساتذته؟ وما الكتب التي كان يقرأها .. وما اسم المدرسة التي كان يذهب إليها .. لأنني أريد أن أرسل زعماء العالم العربي إليها كي يتعلموا الديمقراطية .

قلت لنزار قباني:

• هل هاجرت الطفولة من صدرك؟

هل ذابت الدهشة؟

قال نزار :

يوم ترحل عني طفولتي لن يبقى مني شيء .. ويوم تتوقف قصائدي عن إحداث الدهشة .. فافراً عليها السلام .

• هل كانت أحلام الكاويوى تجذبك .. أم ماذا؟

أط _____ ول فصيحة انراف



بلقيس هي كنز عظيم
عشرت عليه مصادفة! ٩٩

امراة لا تكدر نفسها

«أنا من عشاق نثر نزار قباني، وأشعر أن نثره فيه الكثير من نبرة الشعر. وحين يجيب نزار عن سؤال ويجلس ليمسك القلم وأمامه الأوراق، يحس أن فكرة قصيدة جديدة تغالظه، ولكنه ينتبه أنه مطالب بالإجابة عن سؤال يمس أوتار أعصابه العارية فيرد، ويخطه الجميل يسجل بيتا. بالنثر. في قصيدة اعترافه الطويلة إنها فصل من «ديوان» حياة الشاعر الكبير، يرسمه بأصابعه، لا بأصابع الآخرين»

• سياحتك العاطفية الطويلة..

هل تعنى أن امرأة واحدة لا تكفى..؟

– الشاعر كالمصور الفوتوغرافى لا يمكنه أن يكتفى بلقطة واحدة، أو مشهد واحد.. وهو أيضاً كالصحافى لا يمكنه أن يحمل كل يوم إلى جريدته ذات الخبر.. وإلا طرده.. ولو أننى ارتبطت طول حياتى بامرأة واحدة.. لما كتبت إلا قصيدة واحدة..

• شهريار فى رأيك لم يكن قاتل نساء ولا زير نساء، كان فتاناً.. وإنساناً.. وكان يبحث فى أعماقه عن امرأة واحدة تحبه لذاته..

هل هذا رأى فى المرأة؟

– هذا رأى فى المرأة والرجل معاً، فالرجل لا يبحث فى الحب عن جثة يمارس معها علاقة حميمة.

إنه يبحث عن امرأة لا تكرر نفسها كاسطوانة مشروخة.. ولا يتوقف جسدها عن طرح الأسئلة.. وفكرها عن إرسال الشرارات..

ولأن شهريزاد تركت شهريار معلقاً على حبال الأسئلة.. ولم تعطه نفسها إلا (بالقطارة) .. فقد نجت من السيف المعلق فوق رأسها.. هذا درس لكل النساء

نزار.. وأنا

حتى يتعلمن كيف يحتفظن بأوراقهن.. ولا يسلمن مفاتيح غرناطة لأول رجل يطرق الباب.

كل الجراح.. تلتئم

سألت نزار قباني:

• تعترف بأن النساء اللواتي أحدثن كسراً في زجاج حياتك لا يتجاوز عددن أصابع اليد.. أما الباقيات فلم يتركن سوى خدوش بسيطة على سطح جلدك.

الخدوش البسيطة اندملت. فماذا عن الزجاج المكسور.. أما تزال شظاياها في القلب؟

قال نزار:

من نعمة الله على الإنسان أنه منحه نعمة النسيان، فلو أن كل امرأة تركت في أعماقنا جرحاً ينزف.. لتحولت الحياة إلى مذبحة.

كل الجراحات، كبيرها وصغيرها، لابد أن تلتئم، هذه هي شريعة الحياة حتى تستمر الحياة.. وهذه هي أيضاً شريعة الفن، لأن الفنان إذا سقط تحت عربة الأحزان فلن يقف على قدميه أبداً.

إن رحيل امرأة عن حياتنا (أو رجل لافرق) لا يمكن أن يعتبر نهاية للكون.. لأن الإنسان قادر في كل لحظة على الانبعاث في رماده كطائر الفينيق.
إن الشعر أعطاني من المناعة النفسية والفكرية ماسمح لى بالبقاء - Sur-vival.

فالفن بحد ذاته قوة خارقة تجعلنا نسمو على جراحنا ونزيقنا، بحثا عن آفاق جديدة.. وكشوف جديدة.

• وبلقيس.. كيف، وأين، ومتى عرفتها؟

- بلقيس هي كنز عظيم عثرت عليه مصادفة، حين كنت أقدم أمسية شعرية في بغداد عام ١٩٦٢.

• كيف تطورت قصة الحب؟

وكيف جاء قرار الزواج؟

- قصتنا، ككل قصص الحب في المدن العربية، جوبهت بـ (لا) كبيرة جداً.. تشبه لاءات الخرطوم.

كان الاعتراض الأقوى على (تاريخي الشعرى)، وكانت مجموعات الغزلية وثائق أشهرها أهل بلقيس ضدى.. والقبائل العربية كما نعرف لاتزوج بناتها من أى شاعر تغزل بإحدى نساء القبيلة..

نزار.. وأنت

ولما يئست من إقناع شيخ القبيلة بعدالة قضيتي.. ركبت الطائرة وسافرت إلى أسبانيا لأعمل دبلوماسياً فيها لمدة ثلاث سنوات. وخلال هذه السنوات الطويلة كنت أكتب لبليقيس، وكانت تكتب لي.. رغم أن بريد القبيلة كان مراقباً..

قلت لنزار قباني:

● هل يصبح الحب مهنة؟

قال نزار:

– الحب لا يصبح مهنة أبداً، إلا لدى (الدونجوانيين) و (الشهريارين) .. الذين يرتزقون من اللعب على حبال النساء.. واللهو بعقولهن وأجسادهن.. إن تحويل الحب إلى حرفة يومية.. كالنجارة.. والسباكة.. والحدادة.. والصيرفة.. والمقامرة على الخيول الرابحة.. يجعل الرجل تاجر خردوات.. لا يعنيه سوى الربح.. وزيادة رأس ماله.. الحب هو أن نبدأ دائماً من نقطة الصفر.. وأن نكون دائماً في حالة دهشة.. وانبهار.. كأن المرأة التي نلاقيها هي المرأة الأولى، والكلمات التي نقولها هي الكلمات الأولى.. والموعد الذي نذهب إليه هو الموعد الأول..

الحب هو أن (نخترع) المرأة التي نحبها كلما رأيناها.. وأن نقرأ عينيها كأننا نقرأ كتاباً جديداً.. وأن نتعامل مع فمها كأننا نتعامل مع وردة..

• بدورك هل كنت صاحب طريقة في الحب، في تلك السن المبكرة؟

- نعم.. كنت صاحب طريقة (مودرن) .. والدروس التي أعطيتها لحبيباتي كانت دائماً في الهواء الطلق.. أى تحت شجرة ياسمين.. أو تحت عريشة عنب.. أو تحت ضوء القمر.. أو أمام نافورة ماء..

إننى غير متحمس للحب الذى يدور فى الغرف المغلقة، فالعاشق الحقيقى لا يلبس طاقية الإخفاء.. وإنما يتصرف كأمواج البحر، والبرق، والرعد، والأمطار الاستوائية.

هذا الإحساس بعننية الحب، انتقل بعد ذلك إلى شعرى، حين رفضت فى قصائدى العاطفية، أن أستعمل الأقنعة.. وألجأ إلى الإشارات والرموز.

• تجاريك العاطفية الأولى.. هل تتذكرها؟ وهل تسميها حباً؟

- من الصعب جداً أن تعتمد على ذاكرتى الغرامية، لأن النحل لا ذاكرة له.. وأنا لا أسمى تجارىبى العاطفية الأولى حباً.. ولكنها مرحلة من مراحل اكتشاف اللون، والطعم، والرائحة.. والأنوثة.. وكروية الأرض!!

الرجل لا يتذكر هزائمه!

• كم مرة أحببت؟

- هذا سؤال مخابراتي.. أرفض الإجابة عنه.

سألت نزار قباني:

• تقول إنك في أكثر تجاريك العاطفية كنت القتل لا القتاتل.. كيف؟

قال نزار:

- من طبيعة الرجل أن يتذكر انتصاراته النسائية.. ولا يتذكر هزائمه. وأنا واحد من هؤلاء الرجال الذين كانوا يملأون صدورهم بالأوسمة.. ويدعون أنهم انتصروا في كل المعارك التي خاضوها.. لذلك قررت ذات يوم أن أعقد مؤتمراً صحفياً.. أعلن فيه أن نصف أوسمتي كانت من تنك (صفيح) ونصف سيوفى كانت من خشب.. وأن (السبايا) اللواتي أسرتهم خلال غزواتي.. هن اللواتي أسرنتني.

• ماذا تحب في المرأة؟

- لا أهتم بالمقاييس العالمية لجميلة الجميلات.. إنها ليست حقيقية.. ولا ممكنة.. ولا مريحة.

الجمال الفاضح يتعب صاحبتة، ويتعب الآخرين.. لا يمكننى أن أحب امرأة يحبها معى مليون مشاهد على التليفزيون.. مثل هذه المرأة لا تخصنى.. ولا تثيرنى.. ولا تشكل جزءاً من أحلامى.

لا أطيق امرأة تجتاحنى بفتنتها.. بل أبحث عن امرأة تأخذ شكل الأم.. وشكل الصديقة.. وشكل الحمامة.. فى الوقت ذاته..

أبحث عن صدر رحيم أنام عليه.. لا عن زلزال يبعثرنى مليون قطعة..

• كيف تتعامل مع إعجاب النساء بشخصك أو بشعرك؟

— أتعامل بشكل طبيعى جداً.. وديمقراطى جداً.. ولم أحاول مرة أن آخذ (بوزا) مسرحياً.. أو سينمائياً لأؤكد أهميتى.. أو نجوميتى..

إننى أكره الاستعراضية بكل أشكالها.. وأجلس مع الناس على أرض الشعر، بغير كلفة، ولا بروتوكولات، وأتصرف بكل بساطة وأحاول دائماً أن أكون شبيهاً بشعرى..

قلت لنزار قبانى:

• ألا تعتقد أن القارئات يظلمن الشاعر إذا توقعن منه أن يكون رومانسياً

٢٤ ساعة فى اليوم؟

نزار.. وأنا

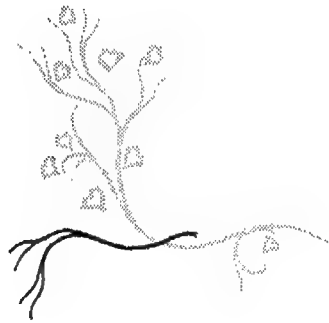
قال نزار:

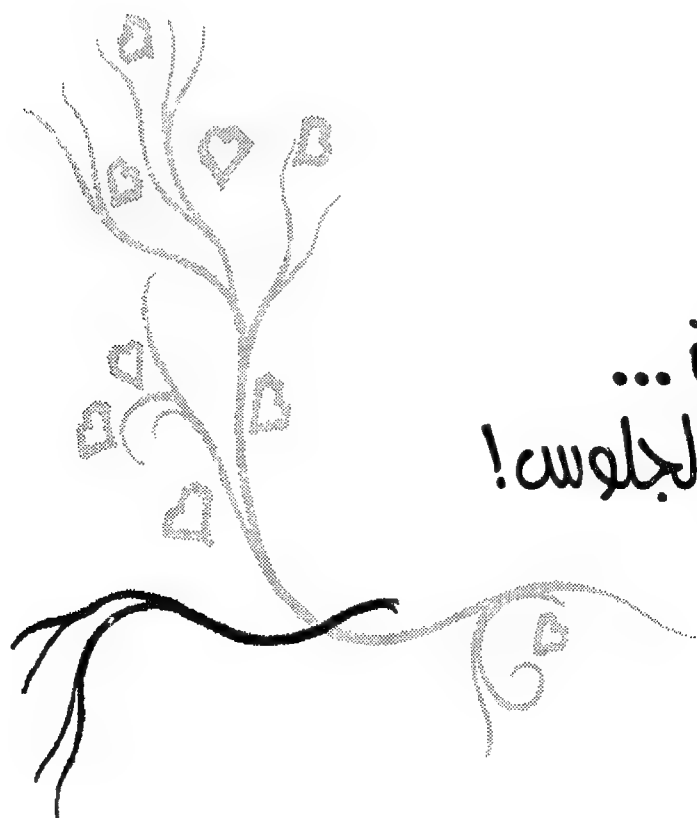
- النساء اللواتي يطلبن هذا من الشاعر يجردنه من إنسانيته، ويحولنه إلى (موديل) من الشمع موضوع في فيترينة.. أو إلى (سوبر-عاشق) .. أو إلى صيدلية خفر.. أو إلى رجل إطفاء مستنفر ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة لإطفاء الحريق.. حريق الحب..

درس.... شهرزاد

• أنت مع حرية المرأة اجتماعياً.. وإلى أي حد؟

- أنا مع حرية المرأة حتى آخر نقطة حرية.. شريطة أن تبقى محتفظة بكرامتها الاجتماعية، والإنسانية، ولا تتحول إلى خرقة.. أو ممسحة..





حاولت بقصائدي خلال ٥٠ عاما

أن أكسر أبواب المعتقل النسائي!

القديسة... لا تعرف الجلوس!

هناك أسئلة تضرب على أوتار الأعصاب العارية.
وهناك أسئلة تغلق المسام المفتوحة المستعدة لأحلى
صدام بين شاعر ومحاوٍر!

ونزار وهو يكتب بخط يده إجاباته عن الأسئلة
يستفز ذاكرته وكأنه يكتب فى الواقع قصته مع الشعر،
ولغة نزار النثرية مناسبة كجدول ماء عذب يشرب منه
الوجدان.

ونزار الذى يعيش - وحيداً - الآن فى شقته فى
لندن، تظهر بلقيس دوما على شاشة حياته

يتذكر الشاعر نزار قباني، بلقيس فيقول لي:

في عام ١٩٦٩، ذهبت إلى بغداد بدعوة رسمية للاشتراك في مهرجان المريد.. وهناك أقيمت قصيدة من أجمل قصائدى كانت بلقيس بطلتها الرئيسية:

مرحباً يا عراقُ، جئتُ أغنيكِ

وبعض من الغناء بكاء

أكل الحزن من حشاشة قلبي

والبقايا تقاسمتها النساء

بعد هذه القصيدة التي هزت بغداد في تلك الفترة، تعاطفت الدولة والشعب العراقي مع قضيتي، وتولى القادة البعثيون خطبة بلقيس من أبيها، وكان على رأس الوفد الحزبي الذي ذهب إلى بيت الراوي في (حي الأعظمية) لطلب يد بلقيس، وزير الشباب الشاعر الأستاذ شفيق الكمال، ووكيل وزارة الخارجية آنذ الشاعر الأستاذ شاذل طاقة.

وهكذا ذهبت إلى بغداد عام ١٩٦٩ لألقى قصيدة شعر.. وعدت منها وأنا
أحمل معي نخلة عراقية

نزار .. وأنا

بلقيس .. امرأة لا تتكرر:

سألت نزار قباني:

● كيف تلقيت نبأ مصرع بلقيس، وكيف أثر هذا الحادث عليك، وكيف تعاملت معه نفسياً؟

- قال نزار في أسي:

غياب بلقيس بهذا الشكل الدرامي، كان أشبه بمسرح اللامعقول. سمعت الخبر من الإذاعة اللبنانية، وأدركت على الفور أن بلقيس تحولت إلى لون من ألوان قوس قزح.

لم يبق بيت في العالم العربي لم يبك بلقيس، وكانت مرثيتي الشهيرة فيها (قصيدة بلقيس) مرثية العصر كما سمتها الصحافة العربية.

بلقيس موجودة دائماً معنا، لاسيما في إطلالة (زينب) وفي كبرياء وفروسية (عمر).

إن بلقيس امرأة لا تنكرر بسهولة، ولذلك فإن شخصيتها، ورقتها، وهدوءها، وحضارتها البابلية السومرية تتجول معنا في أرجاء البيت.

● هل اختارت (هدباء) زوجاً على نفس ملامحك الشكلية والإنسانية؟

وهل سوف تختار (زينب) زوجاً على نمطك؟

- لم أتدخل فى خيارات هذباء ولن أتدخل فى خيارات زينب.. فالأزواج كأوراق اليانصيب أكثرها خاسر وأقلها رابح.. ثم من قال إننى نموذج مثالى للحياة الزوجية؟ أكيد أن كثيراً من النساء يتمنين أن يحبهن شاعر مثلى.. ولكننى لا أنصحهن بالزواج منى.. أو من أمثالى.. لأن الزواج من شاعر كالزواج من بحار فينيقى لا يتذكر اسم زوجته.. ولا عنوان بيته.

• كم مرة بكيت؟

- ما أكثر المرات التى بكيت فيها على.. ولكن كل دموعى المرئية.. وغير المرئية.. كانت تصب فى البحر..

المعتقل النسائى

• الصالونات الأدبية هل انغلقت بلا عودة؟

- الصالونات الأدبية لم يعد لها زبائن.. لأن صالونات الحلاقة حلت محلها.

سألت نزار قبانى:

• وكلت نفسك محامياً عن المرأة. فهل لديك توكيل رسمى منها؟

وحرضتها على أن تكون نداً الرجل وأنت رجل.. ما الأسباب؟

نزار.. وأنا

هل استطاعت كلماتك أن تستنهض إرادة المرأة أو غيرت مفاهيم ومعتقدات

لديها؟

هل ثارت المرأة بعد كلماتك خصوصاً ديوانك الاستفزازي (يوميات امرأة لا

مبالية)؟

قال نزار:

أولاً أنا أترافع عن المرأة بدون أتعاب.. وأنا لا أحتاج إلى وكالة من أية امرأة.. لأنني وكيل (الحق العام).

أما تحريضى إياها للنديّة مع الرجال، وأنا رجل.. فسببه أن ذكور القبيلة أكلوا الأخضر واليابس وحولوا المرأة إلى منسف رز.. وتعاملوا معها كمستعمرة إفريقية ومواطنة من الدرجة العاشرة..

لذلك كان لابد للشعر أن يتدخل لإنهاء هذه المذبحة الكبرى.

إن ضمير الإنسان لاجنس له.. وكونى رجلاً لا يمنعنى أبداً من الإدلاء بشهادتى، وإدانة قراصنة الجنس، وقراصنة اللحم الأنثوى.

لقد حاولت بقصائدى خلال خمسين عاماً أن أكسر أبواب المعتقل النسائى.. وإذا كان بعض السجينات لا يزلن وراء القضبان وإذا كان البعض الآخر قد استمرأن

الحياة فى ظل القمع والظلم، والتفرقة العنصرية.. فأنا لا أستطيع أن أطلق سراح حمامة لا تريد أن تطير.. ولا أن أقدم كأس الحرية لمن لا يشعر بالعطش..

المرأة ليست كائناً بلا إرادة

* المرأة تستمرئ عصر الحريم والتبعية للرجل، ولا تريد أن تقاتل أو تدخل فى معارك من أجل الحصول على حريتها.

هل المرأة مخلوق ساكن منسحق يحب الرجل الفارس صاحب السطوة..
الآمر الناهى الجالب.. والمستجيب لكل المطالب المادية؟

● ماذا اكتشفت بعد هذا المشوار الحرى من أجل المرأة؟

- لا أتصور أن من طبيعة المرأة الأساسية الجبن والاستكانة وتقبيل اليد التى تطعمها. ولكن الرجل هو الذى حاصر المرأة بظروف مادية ونفسية، واقتصادية، وقانونية، جعلتها ترضى بواقعها، وتخاف أن تخرج من (بيت الطاعة) فتضطر إلى النوم على قارعة الرصيف.. بلا طعام، ولا غطاء، ولا مصروف يومية.

إن المرأة ليست مخلوقاً منسحقاً، ولكن نحن الذين سحقناها، وليست كائناً بلا إرادة، ولكن نحن الذين ألغينا إرادتها. إن تاريخاً طويلاً من الطغيان أجبر المرأة على أن تتصرف بذكاء وواقعية، وبراجماتية، وإذا كانت بعض السجينات

يرفضن مغادرة السجن، فلأنهن يعرفن أن نظام القبيلة لن يترك لهن خياراً آخر.

ولا يمكن التحدث عن (نموذج موحد) للنساء.. فالأنوثة شأنها شأن كل الأشياء التي تحيط بنا، من غابات، ونباتات، وطيور، وأسماك، وأزهار، تخضع لقوانين البيئة، والتأثيرات الفيزيولوجية، والبيولوجية، والاجتماعية، والوراثية، والعرقية، والحضارية، والثقافية.

كل امرأة هي محصول أرض وبيئة وتاريخ.. وطقوس.. وعادات.. والتشابه الجسدى وحده لا يكفى لجعل كل نساء العالم يتشابهن كحبات المسبحة.

فالمرأة السويدية، أو الفرنسية، أو الإنجليزية، أو الألمانية، لا تفكر، ولا تنفعل، ولا تتصرف فى حالات الحب، كما تفكر أو تنفعل أو تتصرف المرأة الصومالية، أو السودانية، أو البدوية، أو الصينية، أو الكورية، أو الخليجية.

كل امرأة تتصرف بأمر تاريخها، وسلالاتها، وثقافتها، ولغتها، وموقعها الجغرافى.

فامرأة من بلاد الاسكيمو تعطيك درجة حرارة أربعين تحت الصفر.. وامرأة من بلاد الحبشة.. تدخل حياتك كغابة مشتعلة..

الماكياج الداخلى!

• أدوات الزينة والماكياج الخارجى والماكياج المستتر الداخلى.

هل المرأة أسيرة للأول أم للثانى؟

- الماكياج الخارجى، هو نوع مما (يطلبه المشاهدون) تلجأ إليه المرأة... لإرضاء بعض الرجال الذين يسعدهم أن يغطسوا فى بانيو من الأصباغ والدهان. ومع إيمانى أن المرأة لا تحتاج إلى أن تجعل من وجهها صفحة إعلانية، أو (بوستر) صارخ الألوان، فإننى أشعر بأن المرأة لا تتزين لإثارة إعجاب الرجال فقط.. وإنما تتزين لإثارة غيرة النساء.

أما الماكياج المستتر، أو الداخلى، فهو عمل مسرحى، يعتمد على لعبة الأقنعة، والملابس المستعارة، والعواطف المستعارة.

وإذا كنت أتسامح مع الماكياج الخارجى وأعتبره غريزة نسائية لاشفاء منها.. فإن الماكياج الداخلى هو عندى عمل من أعمال المكر والتزوير.

قلت لنزار قباني:

• هل هناك فعلاً نظرة حب، ونظرة كره، ونظرة غيرة، ونظرة شوق، ونظرة

لامبالاة...؟

أريد أن أتعرف منك على لغة العيون.

قال نزار:

لغة العيون هي لغة قديمة ككل اللغات التي استعملها الإنسان للتعبير عن نفسه. وهي لغة لها قواعدها، ومفرداتها، وقاموسها. وكما أن الإنسان يستعمل يديه للتعبير عن رضاه وغضبه، وحبه وكرهه، فإنه يستعمل عينيه ليقول ما في أعماقه. إن العيون هي المرايا التي تعكس كل تفاصيل النفس البشرية.

• هل الحب يسلب الإرادة، ويخفي عيون المحبوب؟

ومتى سلبت إرادة نزار قباني تماماً؟

- لم يحدث لي أبداً أن فقدت إرادتي أمام امرأة أحبها.. فالحب لا يعنى بحال من الأحوال أن نلغى الشخص الذى نحبه.. الحب لا يعنى أبداً أن نفقد بصرنا، وبصيرتنا، ونتحول إلى (ممسحة) تحت أقدام حبيبتنا.

الحبيبة ذاتها، لا تطلب من رجلها أن يكون فى حالة انعدام الوزن.. وأن يكون ضائعاً.. ومائعاً.. ومكسوراً كغصن النعناع.. أو رخواً كقطعة الشوكولاته.

هذا ليس حباً.. إنه نوع من إلغاء الآخر.. بل هو استعمار فكرى، وجسدى، وعاطفى... لا يمكن أن يستمر. إننى ضد المثل الشائع والسخيف الذى يقول: إن الحب أعمى.

لا ياسيدى. الحب هو أن أعرف من هي حبيبتي.. ولماذا هي حبيبتي..
لا أن أضع النظارات السوداء على عقلى ومشاعرى.

الحب كمياه البحر فى حالة تحول دائم.. فكما لا يمكن التنبؤ بحركة الموج،
ومواقيت المد والجزر، واتجاه الريح.. فلا يمكن التنبؤ بما تكون عليه حالتنا
العاطفية بعد خمس دقائق.

ثم إن الحب مادة نارية، ومن طبيعة النار أن تتوهج وأن تخبو.. وأن تعصف
وأن تهدأ.. وأن تتقدم وأن تتراجع. وليس هناك نار أبدية تبقى دائمة الاشتعال
إلا فى القصص والروايات.

أما الحب الجديد فهو بالتأكيد يحو بصمات الحب السابق، لأن ماء القلب لا
يكفى لرى وردتين فى آن واحد.

القصيدة لا تعرف الجلوس!

• قلت إنك لا تكتب القصيدة، ولكن القصيدة هي التي تكتبك.. فما عنيت؟

- أردت أن أقول إن الشاعر لا يعرف عن قصيدته شيئاً.. ولا يعرف مكان
ولا زمان ولادتها.. ولا يستطيع أن يتنبأ بجنس قصيدته.. إن كانت ذكراً.. أو
أنثى.. شقراء أم سمراء.. جذابة أم بعيدة عن القلب.

فزار.. وأنا

إن الشاعر هو امرأة حامل ممدودة على طاولة العمليات.. لا تتذكر من هو طبيبها.. ولا من هو زوجها.. ولا تاريخ زواجها.

• إن القصيدة زلزال يزلزل الشاعر.

هل تحس بأعراض هذا الزلزال كسكان مناطق الزلازل.. والذين تقع منازلهم حول حزام الزلازل؟

أحمد شوقي كانت تعتريه شبه حمى أثناء حالة الشعر لا يبرأ منها إلا بعد الكتابة فيبرأ من الحمى.. أنت من أي هريق.. وما الذي يصيبك، قبل وأثناء وبعد القصيدة؟

- كتابي (قصتي مع الشعر)، هو سيرة ذاتية هادفة جداً، وديمية جداً، لم ألبس فيها الملابس التنكرية، ولم أكتف سرّاً واحداً من أسراري.

فأنا شاعر لا أؤمن بالسرية لا في شعري ولا في حياتي، ولأنني واضح كضوء النهار، ومكشوف على الجهات الأربع، استطعت أن أجمع حول شعري مائتي مليون عربي.. شعبوا من الكذب والكذابين.. ومن النفاق والمنافقين..

أما عن الزلزال الذي قلت إنه يضربني عند كتابة القصيدة، فهو ليس كبقية الزلازل التي ينطبق عليها مقياس ريختر.. وإنما هو زلزال لغوي لا يترك حرفاً

ولا فاصلة، ولا فعلاً، ولا فاعلاً، ولا مبتدأ.. ولا خبراً.. إلا ويبعثه على جدران
غرفتي، وشراف سريري.

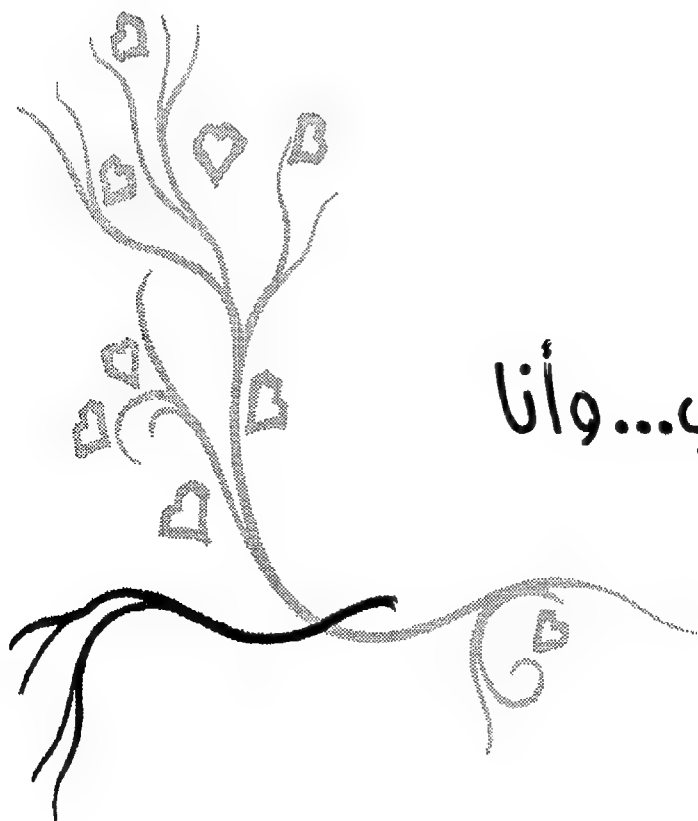
وعندما ينتهي الزلزال.. أشعر أن اللغة الأولى التي كنت أكتب بها قد
تفككت.. وأن لغة جديدة أخرى تتشكل تحت الرماد..

وهذا الزلزال الشعري لا يهاجمني في البيت فقط.. وإنما يهاجمني وأنا أحضر
إحدى الحفلات، أو أركب المترو، أو أمشي في الشارع، أو أحضر حفلة موسيقية،
أو معرضاً للرسم، أو أتجول في حديقة عامة.. أو خلال وجودي في أحد
المحلات الكبرى..

أما الجلوس على طاولة الكتابة، فلا يقدم ولا يؤخر في كتابة القصيدة.. لأن
الطاولة تصلح للأطباء، والمهندسين، والمؤرخين، والمعلمين، ومدراء البنوك،
وموظفي الاستعلامات. القصيدة كالشجرة لا تعرف الجلوس أبداً.



أطول فصيحة أعرف



عبدالوهاب... وأنا

٩٩ بلقيس هي كنز عظيم

عشرت عليه مصادفة! ٩٩

نزار.. وأنا

قصيدة الوصايا... وأنا

لم «أفضل ذلك» في الإبحار بالأسئلة في «محيط»
الشاعر نزار قباني. كان السؤال بسيطاً ومباشراً، فإذا
تضمن «معلومة» يكون أفضل.. أسئلتى لم تكن سوى
دقات مهذبة على خزانة الشاعر الكبير.

أسئلتى كانت محاولة لمعرفة (الأرقام السرية) لهذه
الخزانة المزدحمة بالمعلومات والحكايات.. والتأملات.
أسئلتى كان هدفها تحريض نزار على البوح من الألف
إلى الياء.

وحين جلس نزار ليتكلم، لم يكن يدخن ولا كان
يسرح ولم يفعل مثل بعض «الكتاب» الذين يضعون
قبضة يدهم على خدهم مثلما كان يفعل أمير
الشعراء أحمد شوقي!

كانت الآراء تنساب في تسلسل مذهل وكأنها كانت
محبوسة في صدره تنتظر (لحظة الإفراج)، فأفرج
عنها، وكنت أعرف أن لكل قصيدة (ميلاد) أى زمان
ومكان. لذلك حدثته عن قصيدة (طفولة) ميلادها..
ومكانها.. فبادرته بسؤال!

- القصيدة مفصلة على مقياس بلقيس، من قمة رأسها إلى قدميها، من عينيها الخضراوين، إلى شعرها المغزول من سبائك الذهب، إلى عطر (غيرلين) الذي كانت تفضله .. إلى سجائر (كنت) التي كانت تدخنها.

ولأن بلقيس امرأة لا تتكرر بسهولة، ولأن شمانلها، وألقها كان ألقا ساميا، فإن كلمات القصيدة لا يمكن أن تنطبق إلا على امرأة عظيمة غيرها.

سألت:

• أي قصيدة حب وراءها ملهمة؟

هل وقعت في أكثر من حب، فكتبت عن الحب، وللحب، أم أن حالة الحب يمكن أن تكون خيالا أو سراب حب؟

قال الشاعر:

اختلطت في راسي قصائد الحب مع صاحباتها، حتى (تكسرت النساء .. على النساء) فالنساء يذهبن .. ولكن القصيدة تبقى، ولقد كنت دائما واعيا لأسبقية الفن، فالذي كان يهمني من كل علاقة حب أدخل فيها، هو آثارها فوق أوراقى.

وأسمح لنفسى هنا أن أستشهد بنص في غاية الذكاء والصدق كتبه عنى موسيقارنا العظيم محمد عبد الوهاب في كتابه (أوراق خاصة) وحل فيه العلاقة الملتبسة بين المبدع والمرأة.

قال موسيقارنا الكبير:

« الشاعر نزار قباني ينظم الشعر بعينييه لا بقلبه، فهو مصور، أشعاره لوحات جميلة بأسلوب جذاب بسيط ورشيق.

لم أشعر في شعره بانتفاضة قلبه، أو بمأساة عاشها، أو مشكلة مر بها.. واعتصرت قلبه، وصاغها شعرا.

بل إنه مصور، وقد كشف هو عن نفسه، فقد أصدر ديوانا من الشعر، عنوانه (الرسم بالكلمات)»

رسام بالأنغام

«إنه عندما ينظم بلسان المرأة، فإنه يرى مشاكلها، ويرقبها بدقة، ويصورها نظما، لأنه يحس بإحساس المرأة بصدق.

وأنا لم أقرأ له شعرا حزينا أو به من الشجن ما يجعلني أحس بأنه التاع وسهر ويكى.. إنه رسام بالكلام. كما قال هو.

إن نزارا عندما يعاني من مشكلة يفصل منه نزارا آخر يرقبه في محنته، ويسجل عليه تصرفاته.. ثم بعد ذلك ينضم إليه ليصبح نزار الشاعر يكتب ما رآه شعرا.

نزار.. وأنا

إن نزارا يخاطب المرأة والحب كأنه امبراطور يأمر فيطاع، وأنه يتفضل على الحب والمرأة بما يجود به.

لم أشعر ولم أتصور أبداً أن نزارا يجثو أمام محبوبته أو يتذلل أمامها، إنه أرفع من هذا، إنه ليس بإنسان يلتاع ويهيم.. إنه أكبر من ذلك.

هذا ما قاله عنى كبيرنا محمد عبد الوهاب وهو كلام دقيق جداً، وصحيح جداً، ولم يكتب مثله أكبر نقاد الأدب..

وعندما سألت زوجته السيدة نهلة القدسي:

قولى لى يا سيدتى، كيف استطاع زوجك أن يكتشفنى ويسلط الضوء على عالمى الداخلى؟ قالت لى: لا تستغرب يا نزار ما قاله، لأنه كان يكتب عن نفسه.. فإذا كنت رساما بالكلمات فهو رسام بالأنغام.

● سألت نزار قباني:

أى قصيدة أقرب إلى قلب نزار قباني وما هى الأسباب؟

يقول الشاعر:

أحب قصيدة إلى نفسى هى القصيدة التى لم أكتبها.. لأنها تتركنى فى حالة قلق.. وتوتر.. وانتظار.

إن مجهول القصيدة أجمل من معلومها.. والمرأة التي نقابلها هي أجمل من المرأة التي قابلناها.

إننى لا أحفظ قصائدى القديمة.. لأننى أكره الوقوف على الأطلال.

إننى رجل بلا ذاكرة شعرية.. ولا ذاكرة غرامية لأننى ضد القصائد المجلدة.. والعواطف المجلدة!!

• لقد نضج نزار قباني عبر السنوات..

فهل هذا النضج ينسحب على قصائده؟

غزا الشيب فوديك، فهل غزا الشيب كلماتك، أم أنك تعيش عمر الشباب مرتين؟ وكذلك قصائدك تعيش الشباب أكثر من مرة؟

يجيب نزار:

بعيدا عن الغرور والنرجسية أقول لك: إن ما ينطبق على جسد الفنان لا ينطبق على أجساد الآخرين. فقصيدة (حب ٩٥) التي كتبتها فى مطلع هذا العام، فاجأتني كما فاجأت الآخرين بنضارتها، وديناميكتها، وقوة نبضها، حتى أن أحد الأصدقاء هتف لى من باريس يقول: (مش معقول.. مش معقول.. هذا الكلام الطازج عن الحب.. يذكرنى بكلامك فى الستينيات).

إننى لا أريد أن أدافع عن صورة دوريان جرای وشبابه الدائم، ولكننى أريد أن أقول إن (هرمونات الإبداع) عند المبدعين، لا تتعرض للعطب والتآكل كما هى عند الآخرين.

نعم.. الشعر هو شباب على طول.. والرسم هو شباب على طول.. والموسيقى هى شباب على طول والمجسمات والسيمفونيات والمسرحيات ورقص الباليه.. هى شباب على طول. بالإبداع وحده نستطيع أن نتحدى الشيخوخة. إننى أقيس صحتى العامة، لا بميزان الحرارة، ولا بميزان الضغط، وإنما أقيسها بحركة أصابعى على ورقة الكتابة. فما دمت قادرا على تحريك أصابعى.. وتحريك وجدان الجماهير وأحاسيسها.. فأنا بألف خير.

شكل ثانى

سألت الشاعر:

• هل تحب أن تغنى قصائدك، أى تلقىها على الناس،

أم أنك تفضل أن يتغنى صوت مليح بكلمات قصائدك؟

- مع احترامى لكل المغنين والمغنيات.. فإننى أعتقد أن قراءتى لشعرى..

(شكل ثانى)

نزار.. وأنا

سفاحين من الدرجة الأولى، وليس (عطيل) فى مسرحية شكسبير الشهيرة سوى واحد من هؤلاء.

• هل اختلفت الفتاة الجامعية العربية فى الفكر والسلوك عن والدتها، أو جدتها، اللواتى لم ينلن من العلم قسطا معقولا؟

- بدون شك حصل تطور كبير فى فكر الجامعيات العربيات، وفى مواقفهن، ورؤيتهن للحياة، ولكن بصمات المجتمع والتاريخ والماضى عليهن لا تزال تلعب دورها فى اتخاذ قراراتهن. الدبلوم هو خطوة على طريق الحرية، وليس كل الحرية، والثقافة التى تتلقاها الفتاة فى الجامعة، لن تكون ذات جدوى ما لم تقترن بالمواجهة، والتحدى.

من هى المثقفة؟

قلت لنزار قبانى:

• من هى المرأة المثقفة؟ ومن هو الرجل المثقف؟

أجاب :

المرأة المثقفة هى التى تستطيع أن تدخل فى حوار شمولى، ولمدة ساعات مع الرجل.. دون أن تشهر فى وجهه أسلحتها التقليدية، من جفون ناعسة، وأظافر

حادة . وتنانير فولكلورية .. ومعاطف (مينك) .. وساعات (بياجيه) .. وخواتم مشكوكة فى أصابعها .

أما الرجل المثقف .. فهو الذى يحاول أن يريح ثقة المرأة التى يجلس معها بما يحمل فى رأسه من أفكار جديدة ، ومشاهدات وقراءات متنوعة .. لا بما يحمل فى جيبه من عملات صعبة وشيكات سياحية .

وباختصار المرأة المثقفة هى التى لا تتصرف كجارية .

والرجل المثقف هو الذى لا يتصرف كثرى حرب .

• هل المرأة العربية أسيرة الموضة؟

وتشعر بالضعف تجاه مصممى الأزياء .. وبيوت الأزياء؟

- كل النساء - بلا استثناء - ضعيفات أمام هذا الوحش المفترس الذى اسمه الموضة .

والمرأة العربية لها الحق كأنتى ، أن تحلم بثوب جديد ، أو معطف جديد ، أو عطر جديد لتجذب به زوجها .

وإذا كان الرجل العربى يحب المرأة مظلطة ، ومفلطة ، ومبخرة .. ومعطرة .. ومشكشكة بالخرز .. والترتر كأنتى الطاووس .. فلماذا نلومها إذا رأت (فالتنينو) .. و (إيف سان لوران) و (كوكوشانيل) .. فى منامها؟

نزار.. وأنس

سألت :

• هل يمكن أن تذكر لنا سيدة عربية رائدة في حق العمل النسائي؟
استوقفت نزار قباني؟

قال:

في إحدى أغنياتها تقول فيروز: (ما في حدا.. لا تندهى.. ما في حدا)
واسمحوا لي أن أصرخ كما صرخت فيروز: (ما في حدا.. وما في امرأة واحدة
فشت خلقى.. فكسرت أقالها.. وعصت على قيدها).

نعم يا سيدى، لقد تصفحت أوراق ذاكرتى ورقة .. ورقة فلم أعثر على امرأة
من بين فئة مليون امرأة عربية.. أقدمت على هذا العمل الجلوى!

لذلك تبقى الحركات النسائية عندنا همسا خافتا يدور فى الصالونات،
والاستقبالات الصباحية، والمكالمات التليفونية.

المرأة تريد من يمضغ عنها لقمة الحرية.. ومن يبلعها أيضا، وإذا تشجعت
ومشت فى أحد التجمعات فإنها تخاف أن ينكسر كعب حذاءها.. أو تتلخبط
تسريحة شعرها.

إن الحركات النسائية التى تنطلق من عند (الكوافير) .. لا يمكنها أن تحرر
نملة.. أو عصفورا.



بلقيس...
تزوجت هيدوشينا!

» نعم، ابنتي، تعيش
في منزل مستقل! ٤٤

إلّا قيس...

تزوجت هير وشيما!

قال الشاعر الكبير:

لا أحب أن أخضع للمزاج النفسى. فأنا أحيانا
تصيبنى حويصلة اكتئاب. وأحيانا تخذلنى عافيتى.
وأحيانا نالثة يقفز سؤال بوهيمى: ما جدوى هذا؟
اخترت المزاج المعتدل وهو ساعة الصباح وشرعت فى
الإبحار.

لا بد أن نستريح من الريبة. والشك والخوف حتى نستطيع أن نقيم حواراً حضارياً مع الجنس الآخر. ولا بد أن نشفى من هذا الصداق التاريخي المزمّن الذي ينتابنا كلما رأينا كاحل امرأة.. أو سمعنا رنة خلاخيلها حتى نتمكن من الحديث بصورة طبيعية، وترتيب أفكارنا بصورة طبيعية، وتحريك أيدينا بصورة طبيعية.. دون أن نسخن.. أو نبرد... أو نتصبب عرقاً.

لست شاعراً منافقاً!

● كنت مسكوناً بالمرأة. هذه سمعتك في الوطن العربي.

هل تستملح هذه التسمية؟

أم أنك تخاف منها وتوارى عنها عن عمد؟

- البلب لا يختجل بريح جناحيه، والوردة لا تختجل بعطرها، والطاووس لا يختجل بألوانه. لا بد أن أكون مسكوناً بشيء جميل.. حتى أكتب شعراً جميلاً.. ومثل هذه الشائعات تعطرني.. ولا تخجلني.

سألته :

● ابتلاك هدياً، وزينب. هل تقبل أن تعيش الواحدة منهما بمفردها، وتنفصل عنك نفسياً وجغرافياً... وتعيش حياة المرأة التي تنادى بها؟

أجاب :

لمعلوماتك، أقول لك إن هدباء تعيش الآن في منزل مستقل، وكذلك تفعل زينب.. عندما تطير العصافير عن الشجرة، ليس بوسعك أن تستردها، وتمنعها من الطيران.

أنا شاعر لا يناقض نفسه، ولا يقيم حواجزاً أو حدوداً بين ما يكتبه على الورق، وبين طريقة حياته. الحرية التي أنادى بها.. ليست وقفاً على «بنات الناس» فقط... بل تنطبق على بناتي.. وإلا كنت شاعراً منافقاً، وممثلاً مسرحياً بوجهين.. وقناعين.. ولغتين..

• ألم تغر الراحلة بلقيس في أي يوم من أية امرأة أو معجبة؟ وكيف كانت

ردود فعلها؟

- عندما تزوجتني بلقيس، كانت تعرف من تزوجت.. كانت تعرف منذ البداية أنها تزوجت الرعد.. والبرق.. والعاصفة. ولا أزال أذكر كلمتها الرائعة التي قالتها لإحدى صديقاتها في مطار بغداد، ونحن نستعد للسفر إلى بيروت بعد زواجنا.

نزار.. وأنا

● سألتها صديقتها: من تراك تزوجت يا بلقيس؟

أجابت بلقيس بكل وقار وجدية :

«تزوجت هيروشيما».

إذن فبلقيس كانت تعرف أنها تزوجت شاعرا جمع حوله امبراطورية من النساء.

لذلك كانت تتصرف على أساس المعرفة، لا على أساس الوهم والتخمين.

كم من مرة تلقت مكالمات هاتفية من معجبات، وأعطتني سماعة التليفون لأتكلّم... وخرجت من الغرفة حتى لا تخرجلى.. وعندما كانت تتجمع حولى الصبايا فى نهاية أمسية شعرية ناجحة، كانت تترك القاعة وتجلس فى سيارتها.. حتى لا تتضايقنى أمام صاحبات الأوتوجرافات..

وعندما سألتها صحيفة لبنانية ذات يوم: ألا تتضايقين، من التفاف المعجبات حول زوجك؟

أجابت بكل كبرياء:

ولماذا أتضايق؟ إن معجبات نزار هنّ جزء من «مجدنا الشعرى المشترك»..!!

زوج منضبط

● هل النظام الزوجي، والالتزام الأبوي يؤثر على انطلاقة الشاعر؟

وهل بالفعل سرت آثاره على نزار قباني؟

- الذين عرفوني عازبا، وعرفوني متزوجا - وأنت منهم يا مفيد - يعرفون أنني لم أسقط بالضربة القاضية تحت مطرقة المؤسسة الزوجية.

فالشعر كان مرسوما على جبيني، لا أستطيع أن أخالفه، أو أعصى له أمرا. في نظام الأولويات كان الشعر يأتي أولا.. والوظيفة، والدبلوماسية، والزوجية.. تأتي في المقام الثاني.

لا يعني هذا أنني كنت زوجا سيئا، أو هاربا من التزاماته. على العكس، كنت زوجا منضبطا، وموزونا، وحنونا. ولم أكن أبدا زوجا سفاحا، أو قراصنا، أو قاطع طريق.

أنا بطبيعتي رجل منظم.. وكان لابد لي من امرأة تحمل إلي بيتي النظام.. لأنني لا أستطيع أن أبداع في ظل الفوضى.

نزار.. وأنا

سألت نزار:

• لو قابلت يوما.. جميلة الجميلات.. هل لو لم يكن الشعر من مربعات
اهتماماتها.. يخاصم نزار قباني هذا الجمال ولا يلتفت إليها مجرد التفاتة؟
أجاب الشاعر الكبير:

أنا متحمس لمنتوجات بلادي.. لا للجمال المستورد.. ولا للحب المستورد.
جميلة الجميلات نوع من الأوقاف المشتركة.. الموزعة على القارات
الخمسة.. أما امرأتى فأريدها لى وحدى.. بكل بوصة منها.. بكل سنتيمتر
منها.. بكل دبوس من دبائيس شعرها.
باختصار أنا الذى أعطرها.. وأبخرها.. وأغسلها بماء الشعر.

أما الجميلات القادمات من لندن، وباريس، وستوكهولم، وبوخارست، ومونت
كارلو، ولوس انجلوس فلا يثرن اهتمامى.

• الزواج من أجنبية، نالت الحرية، وعرفت ثقافات الشعوب، ورفضت منطق
الحريم،

هل الزواج من أجنبية متحضره يقدم عليه نزار قباني؟

- الزواج من أجنبية «مرفوض يا ولدى.. مرفوض».. لأننى أريد زوجة
معجونة بالقرفة، واليانسون، والشطة، وحب الهال، ورائحة التمر حنة.
المرأة المحايدة لا تثير فضولى وخيطان «السباغيتى» تلفت حول عنقى.
وإذا كان لى أن أختار بين حضارة «الشانزليزيه»، وميدان «البيكاديلى»،
و«فيافينيتو».. وبين حضارة خان الخليلى، والموسكى، وحى السيدة زينب.
فإننى بدون تردد مع حى السيدة زينب.

قصيدة الحزن!

• الحب فى قصائدك مقرون بالحزن،

ألا تستطيع الحب بدون حزن..

ومن هى المرأة التى علمك حبها أن تحزن،

ومن كتبت لها قصيدة «نهر الأحزان»..

وهل الحزن فى الحب هو الصدق فى الحب؟

- أنا عاشق تجرى فى عروقه دماء كربلاء.

نزار.. وأنا

والعشق العربي بصورة عامة هو عشق كربلائي.. يعيش على حد الخنجر..
وينزف كحمامة مذبوحة.

وأنا لست سوى حمامة بين آلاف الحمام المذبوحة من الخليج إلى المحيط.
إننى لا أستطيع أن أكتب قصيدة وأنا أرقص.

فأجمل قصائدى كتبتها وأنا أنزف.. مثل «نهر الأحزان»، وقصيدة «الحنن».
أما الفرح فلم أكتب به قصيدة واحدة لأنه ولد أبله.. ومتخلف عقليا.

سألت نزار قباني:

• من هم هؤلاء فى كلمات :

١- يفتشونكو:

- كان يمثل الدور الماركسى، بينما هو بورجوازي حتى نخاعه الشوكى.

٢- ت. إس. اليوت.

- الأب الشرعى لنصف شعرائنا المعروفين.

٣- حافظ إبراهيم.

- موهبة عظيمة.. ينقصها دفتر شيكات.

٤. أحمد شوقي.

- موهبة، ودفتر شيكات، ويكوية، وكرمة ابن هانيء.

٥. كامل الشناوى.

- شاعر كبير، وصوت أوبرالى. وظريف على مستوى نجيب الريحاني.

٦. عباس محمود العقاد شاعرا.

- صفر على شمال الشعر.

فاكهة كل الفصول!

• الحب تفضله وتستمتع به أنت وغيرك فى سن العشرينيات أم

الثلاثينيات أم الأربعينيات أم الخمسينيات أم فى عمر الشيخوخة؟

- الحب فاكهة لكل الفصول. والمهم هو الطريقة التى نتذوق بها هذه

الفاكهة.. وأتصور أن السن التى تمتد من الأربعين إلى الخمسين هى السن التى

نتذوق فيها فاكهة الحب، بعقلنا، وخبرتنا، ونضجنا الثقافى والحضارى لا

بطيشنا، واندفاعنا، وأظافرنا الطويلة.

سألت الشاعر:

• هل يعترف الحب بفارق العمر؟

رجل شيخ يتزوج فتاة في مقتبل العمر.. وعجوز شماء تتزوج شابا؟

أجاب:

هذا ليس حبا... ولكنه مزاد علني يحاول فيه بعض الموتى أن يمدوا فترة إقامتهم على الأرض.

• هل المسافات تميت الحب أم تحييه؟

يقولون إن المسافات تصنع الحب، وتجده، وتشحن البطاريات؟ فيتغذى الحب بإكسیر الفيتامينات المقوية وهي المسافات؟

.. أنا كنت دائما من حزب المسافات.. لأنني أعنقد أن الالتصاق الطويل بالحبیب يفقدنا الإحساس به. وعندما كتبت هذه الفكرة في قصيدتي «أسالك الرحيل».

«كن في حياتي الشك والعذابا

كن مرة أسطورة.. كن مرة سرا..

وكن سؤالا في فمي لا يعرف الجواب..

لنفترق أحبابا ..

فالطير كل موسم تغادر الهضابا

والشمس يا حبيبى تكون أحلى عندما تحاول الغيابا ..

وكى أكون دائما جميلة ..

وكى تكون أكثر اقترابا ..

أسألك الذهابا ...

عندما كتبت هذا الكلام الغريب عن قوانين العشق المعروفة، احتجّت السيدات علىّ بحجة أننى أدعو لكسر العلاقات الجميلة.

الحقيقة أننى لا أريد أن أكسر شيئاً.. ولكننى أريد أن أنقذ الحب الجميل من جليد العادات، ولعنة الروتين.

قلم الحبر!!

• هل تصل كل كلماتك إلى مستحقيها؟

بمعنى أن الذواقة لشعرك من النساء كثيرات.. وهن يقرأن كتبك سرا، وأيضا العاملون فى حقل السياسة هل يستنكرون تشريحك الشعري واستعمال القلم الرصاص لإطلاق قذائف شعرية موجهة؟

نزار.. وأند

- قلت فى بداياتى الشعرية أننى سوف أؤمم الشعر العربى، وأجعله فى متناول
أى إنسان عربى من عدن إلى طنجة. ويسعدنى أن عملية التأميم قد نجحت...
وهأنذا مزروع تحت أساسات أى بيت عربى..

أما النساء فأعتبرهن أفضل القراء على الإطلاق، وأكثرهم حساسية ونبلا
وحضارة.

أما بعض رجال السياسة فهم مصفحون ضد الشعر وضد المشاعر الجميلة..
وضد الحق والعدالة والحرية.. لذلك، فأنا لا أتوجه إليهم بكلماتى. لأن الكلام
معهم إضاعة للوقت.

قلت لنزار :

• أى مخترعات الحضارة تنحنى احتراما لها؟

- قلم الحبر الذى أكتب به .

• كيف يستطيع الشاعر الإمساك بتلابيب القارئ؟

هل يتحدث عن معاناتهم أم عن معاناته الخاصة؟

- لا أحب عبارة «الإمساك بقلابيب القارئ»، فالشعر ليس محاولة لاغتصاب الناس، ولكنه لغة حضارية تحاول أن تعزف على أحاسيسهم.. وترفع مستواهم الحضاري، وحين يحاول الشاعر أن يعبر عن معاناة الآخرين، لأنه غير منفصل عن بيئته، ومجتمعه، وتاريخه.



ن. زاد.. وأ. أ.



الرجل الشرفى... لا يحبني!

لا يوجد فى أوروبا شيء

اسمه حاجز الذكورة والأنوثة! ٢٢

الرجل الشقي... لا يحبني!

- نزار. لمن يريد أن يتحاور معه بعدى!
- لا بد من فهم طبيعته وتكوينه وعاداته مع الصحفيين!
١. لا بد من أن تكون معجبا بالشاعر، قارئاً لمعظم دواوينه إن لم تكن كلها.
 ٢. لا بد من أسئلة فى صياغتها ما (يفتح شهيته) للكلام بدلا من أن «تسد نفسه».
 ٣. لا مانع من (مداعبة غرور) الشاعر بسؤال، أو اثنين أو ثلاثة، ثم سؤال تصادمي، وبعده سؤال استفزازي، فهذه (الطريقة) تجعله يقظاً فى ملعب المحاورة.
 ٤. يا سلام لو أوردت فى كلامك بعض مقاطع من قصائده. فهذا مدخل ذكي يفتح الخزانة!
 ٥. حين يصمت الشاعر برهة، لا تقاطعه على طريقة مذييعات التليفزيون المبتدئات. اتركه يسرح. إنه يجوب فى ثوان أرض ذاكرته، ينادى التجارب فتطيعه، وتأتى بعد قليل!
- وأعود. بهذه الأدوات. للحلبة!

• الصدق، الشجاعة، السلاسة، أم الفصاحة،

أى منها يشعر القارئ الذواق أن القصيدة هي قصيدته؟ وبهذا يصبح الشاعر داخل القارئ، فتحدث وحدة بين المبدع الشاعر، والمتلقى القارئ؟
- أهم العناصر للتغفل فى وجدان القارئ هي الصدق، وبدون هذا الصدق.. تصبح كلمات الشاعر نوعاً من العملة المزورة.

يخاصمون كلماتى

سألته :

• من يقبل على كتبك أكثر، ويلهث وراء كلماتك أكثر المرأة أم الرجل؟

الشباب أم الكبار؟

الأمهات أم الآباء أم الجدات؟

ومن يمتنع عن قراءتك ويخاصم كلماتك؟

- المرأة هي التي تقرأنى أكثر لأنها تريد أن تقرأ نفسها... والشباب هم الذين يتهافتون على كتبى لأنهم يجدون فى كتابتى صورة لأحلامهم، وتعبيراً شجاعاً عن مشاكلهم التي لا يعترف بها أحد. أما الكهول والشيوخ والأمهات والجدات فهم يستحضرون بشعري تذكارات حبيبهم، وحكايات عصرهم الجميل.

أما الذين يمتنعون عن قراءتى ويخاصمون كلماتى ، فهم الذين ماتت حواسهم الخمس ، وتوقف جهازهم العصبى عن العمل .

• هل أثرت بإقبال الجنس الآخر على إبداعك غيرة الرجل الشرقى ؟

وكيف تتصرف إزاءها ؟

هل الرجل الشرقى غاضب عليك ، لأنك حرصت المرأة عليه فكرهك الرجل وأصبح هناك ود مفقود بينك وبينه ؟

- طبعاً .. طبعاً ... لا يمكن لأى رجل شرقى أن يحب شعرى أو يحبنى . لأن الإقطاعى لا يمكن أن يحب من يأخذ منه أرضه ، ويصادر محاصيله ، وأراضيه الزراعية . فمن الطبيعى إذن أن يثور الباشوات لأننى حرمتهم من امتيازاتهم التاريخية .

• هل غيرت كلماتك التشجيعية للمرأة من مفاهيم الرجل الشرقى فى

تجاه المرأة أو غيرت من السلوك والعادات ؟

- الشعر وحده لا يستطيع أن يجعل من التمساح حمامة .. ومن جمال باشا السفاح غزلاً ..

نـ زار.. وأنا

لا بد من حركة ثقافية يشترك بها المفكرون، والمبدعون، والمصلحون،
والروائيون، والمسرحيون، والجامعيون، والجامعات، لكسر جدار برلين الذى لا
يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

إن القصيدة هى أحد الأصوات فى جوقة الغاضبين، ولكنها وحدها لا تستطيع
أن تثقب جدار الأسمنت بمنقارها الرقيق.

• عالمة الذرة والطبيبة والمهندسة، هل تتجاوزن الرجال، وتضوقن عليهم في
عقر ديارهم.. وهى الانفراد بالعلم؟

- نحن متفوقون دائماً عندما نخرج من بلادنا.. والمرأة العربية الباحثة أو
العالمة أو الطبيبة أو المهندسة، يتعامل معها الغرب بكل احترام وتقدير، لأن
العقل لا جنسية له.

وعندما تعود عالمة العربية إلى بلادها، ترتطم مرة أخرى بجدار الذكورة..
والتمييز!

• هل استطاعت المرأة الأوروبية أن تعقد هدنة مع الرجل الأوروبى،
وحصلت على الحرية، وتتعامل معه بندية؟

أجاب الشاعر:

- أنا لا أحترف الإثارة مع احترامي لإحساسك وحاسة الشم التي تعتز بها. أنا أرمى أوراقى على الطاولة بشجاعة وألعب بكل رصيدى.

أنا رجل - ياعزى - يرفض أن يلعب لعبة الحب خلف الكواليس، لذلك كتبت قصائد حبي على أشجار الحدائق العامة. أردت أن أنهى مرحلة السرية والأحكام العرفية المفروضة على المرأة.

• ديوان كامل فى الحب،

هل أردت أن تضع قانوناً للناس فى العشق؟

- اسمع. الشاعر الذى ينفى الآخرين من أرضه هو شاعر يحاول تقبيل نفسه، القصيدة عندي قبلة ينفذها اثنان. الشاعر وجمهوره، الناس هم البداية والنهاية فى كل كلمة تطرح على الورق. إنهم شعبي وأنا لا أستطيع أن أحكم فى جزيرة من الأشباح. إنهم المرأة التى أرى فيها أبعاد وجهي. وأنا بدون الآخرين لا وجه لى.

● القصيدة والمرأة. هل ثمة علاقة في رأسك؟

- القصيدة المكتوبة عندي، هي امرأة جاءت، والقصيدة التي أنتظرها هي المرأة التي لم تحضر بعد!

● شعر الحب عندك - يا أستاذ نزار - فيه (الحس) بل هو أحياناً (الحس) ذاته.

- أنت تطالبني بأن احتفظ بنقائي ونظافة ملابسي في منجم فحم، تطالبني بأن أرتفع بفكرة الحب إلى مرتبة عالية جداً.. هذا ضد بشرتي!

وأريد أن أقول لك إن شعري هو تاريخ للعلاقات العاطفية في بلادى.. نعم، فأنا قبل كل شيء وبعد كل شيء، جسد يتعرض لألوف الضغوط التاريخية والوراثية التي يتعرض لها إنسان المنطقة، ومع هذا فقد ساعدنى الرحيل على التخلص شيئاً فشيئاً من هذه التركة التي كنت أحملها، وهذه المسيرة نحو الحب الأنقى هي مسيرة إنسانية وطبيعية.

● هل بإمكان الشعر أن (يتطوع لإنقاذ العالم) من مشاكله وعاهاته؟

قال نزار :

- الإنسان مهما لعب بورقة العقل ومهما قامر بالأيديولوجيات ومهما تغافل في دهاليز الارتعاشات الهستيرية ومهما طحنته عجالات العصر، فسوف تبقى

فى داخله منطقة لا تستطيع أن تصل إليها حسابات الكمبيوتر ومعادلاته، إن العودة إلى الشعر شىء حتمى فى حضارة تغتال نفسها بنفسها وتأكل منجزاتها. وفجیعة الشعر الأساسية أنه دخل فى نطاق البرمجة ومشاريع السنوات الخمس!

• حیاتك وشعرك...؟

- حیاتى وشعرى ملتحمان كما اللحم بالعظم ولا يمكن فصلهما إلا بالموت. حیاتى كلها مصورة ومفرغة فى هذا الإناء الذى هو شعرى، أنا لم أترك تجربة واحدة من تجاربى، مهما كانت صغيرة فى العتمة، كل تجاربى أطلقتها كالعصافير فى السماء ولم يبق عندى عصفور واحد محنط على جدران عالمى الداخلى.

بیاتك الشتوى

سألت الشاعر الكبير :

• هل یداهمك البیات الشتوى،

فتتوقف عن الكتابة، وتقصف قلمك وتمزق أوراقك، وتهاجر من غرفة مكتبك؟

- هذا شىء طبیعى جداً، فالأرض الزراعية لا بد لها أن تستريح.. والربيع ينتظر فى باطن الأرض تسعة أشهر، حتى يبدأ الرسم بالأخضر، والأحمر،

والأزرق، والبرتقالي مرة أخرى.. والينابيع تنام خلال فصل الصيف ثم تنفجر
جداً ولا وأنهاراً.

والقصيدة تخضع للقوانين ذاتها... فبعد مغامراتها الطويلة مع الورق ومع
الحياة.. لابد أن تأخذ إجازة تريح فيها أعصابها، وتتناول خلالها خمسين فنجاناً
(أكسبرسو).. وتدخل خمسمائة سيجارة.. وتبلغ أنبوباً كاملاً من فيتامين (C)
قبل أن تبهر مرة أخرى في بحر المفاجآت.

إنني لا أقلق أبداً حين تمر بي حالات الجفاف هذه، لأنني أعلم أن المياه
الجوفية في داخلي تتجمع.. حتى تنفجر في أية لحظة.. وتفجرنى معها...

● الشعر له رسالة ثقافية، أم سياسية، أم اجتماعية،

وشعر نزار قباني ما رسالته.. بالتحديد؟

- وظيفة الشعر أن يغير العالم، وأن يزيد مساحة الجمال، ويقلل مساحة القبح..
وأن يجعل بحار العالم أكثر زرقة.. وغابات العالم أكثر ورقاً.. ومدن العالم أكثر
حرية.. والإنسان أكثر إنسانية.

هذه هي رسالتي.. وأرجو أن أكون قد أوصلت هذه الرسالة.

• مفرداتك شائرة، ومفردات الشعراء الآخرين مستكينة، وأحياناً حتى في الموقف الرومانسى الحالم شائرة ومدمرة..

هل إحساسك بالحب عنيف.. يتخاضم مع الرقة مع أن المشاعر تسكن فيها الرقة لا العنف.. وقد يتقلص كم الرومانسية في ظهور العنف؟

- يا عزيزى مفيد.. ليست هناك طريقة واحدة للتعبير عن الحب وليس كل الرجال متساوين فى الحب.. بعضهم يهدر كموج البحر.. وبعضهم يتمايل كغصن النعناع.. بعضهم يدق على صدره كطرزان.. وبعضهم يدوب حديثه مع حبيبته كقطعة الشيكولاتة..

أنا شخصيا لا أومن بالحب على طريقة مصطفى لطفى المنفلوطى.. ولا مارتين .. والفرد ده موسيه.. ولست من أنصار الجيلو.. والشيكولاتة..

لا يعنى هذا أننى من أنصار العنف فى الحب.. ولكننى من أنصار المواقف الحاسمة.. وربما كان أجمل ما فى الحب هو برفقه، ورعده، وموجه، وعواصفه..

أما الذى يريد وجبة غرامية سريعة.. فليذهب إلى (ماكدونالد) ..

نزار .. وأنا

• اتهموك بالنرجسية، ولم تحاول أن ترفع عنك هذا الاتهام.. والسؤال لماذا؟ وهل تعشق ذاتك في أعمالك؟

هل تعشق ذاتك، ذات نزار قباني، أم أنك ترى ذاتك في عيون الآخرين.. وتعتبر القراء مجرد مرايا تعكس اسمك ورسمك؟؟

.. النرجسية ضرورية لكل فنان مبدع، لأنها تشعره بالكبرياء والقوة والثقة بالنفس.

وأنا أعتبرها حالة صحية، لا حالة مرضية، لقد كان المتنبي نرجسياً كبيراً، لأنه كان شاعراً كبيراً.. يعرف من هو:

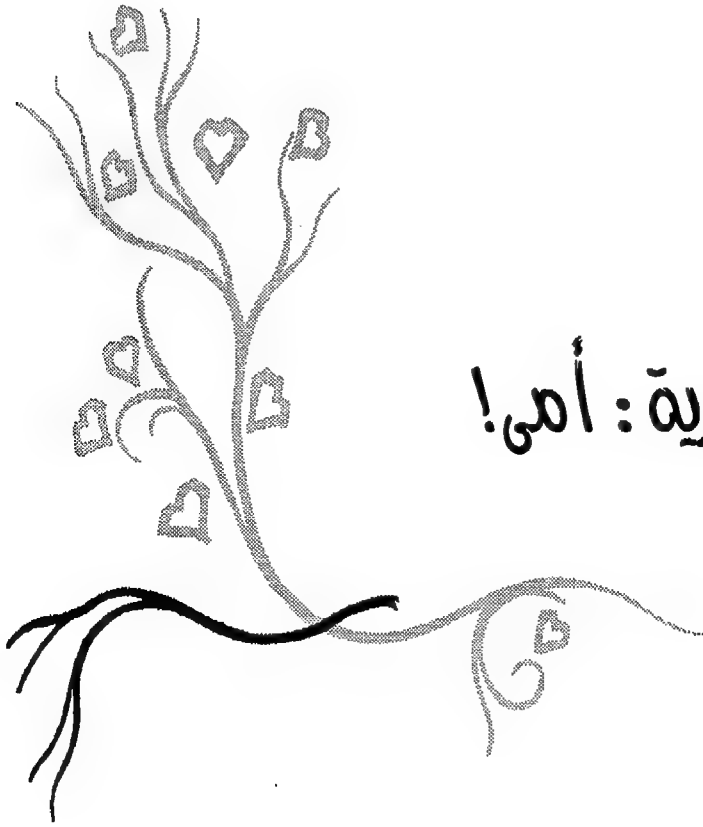
«وما قلت من شعر، تكاد بيوتنه

إذا كتبت.. يبيض من نورها الحبر...»

هذه نرجسية الشعراء الذين يعرفون مكانهم، كما يعرفون أنهم سلطة فوق السلطة.

وأنا لست سوى واحد من هذه السلالات الشعرية الشجاعة، والمسكونة بالعزة والكبرياء.. والتي لا تساوم على شرف الكلمة.

أطول فصيحة نواف



بعية المصرية: أمي!

أنا في مصر في ضيافة فاهرة

عمرو بن العاص وحدها! ٢٢

بعية المصرية : أمي!

د نزار قباني مولود ليكون شاعراً، لا يستطيع التنفس إلا من خلال قصيدة تغازلها، فيستجيب لها فوق الورق وحين ينتهي من ميلادها، تنتشي كل مسامة بالحب! لا شيء في الوجود يمنح نزار السعادة والنشوة والرضا.. غير كتابة الشعر، إن الحروف تطاوعه بيسر لا مثيل له، والكلمات، يأمرها بأن تتشكل كما يريد، فتلبى صاغرة، إنه (نحات) من نوع نادر ولهذا أسميه الشاعر النحات، ولهذا يغار منه الشعراء، ولهذا فهو الأكثر مبيعاً للدواوين، والأكثر شهرة من الماء إلى الماء ونزار، اشتغل دبلوماسياً فترة، ولكن الدبلوماسية ثقيلة على قلبه، صحيح أنه يعتبرها فترة من فترات حياته، ولكن أثرها ليس غائراً في نفسه كالشعر!

نزار.. وأند

• ما المدن والبلاد التي أثرت فيك كإنسان وشاعر؟

- القاهرة - لندن - مدريد - بيروت - دمشق

من أجل أولادى!

سألت نزار قباني

• لك فى القاهرة ذكريات عزيزة، وفيها صدرت مجموعتك الشعرية

«طفولة».. الآن.. ماذا تبدو علاقتك بالقاهرة هاترة؟

- أجاب:

بهية المصرية هى أمى.. وأميرتى.. وسيدتى وكل الذى حصل أن بعض
الذين يظنون أنهم يحملون مفاتيح مصر.. خبأوا مفاتيحها فى جيوبهم..
واعترضوا على إقامتى فيها عام ١٩٨٢، بعدما اشتريت شقة فى الزمالك.
وقدريت أن تكون القاهرة مرفئى الأخير..

وأتذكر أننى كتبت فى ذلك الوقت مقالاً قلت فيه أنا فى مصر فى ضيافة
قاهرة عمرو بن العاص.. وحدها..

• لو لم تكن الدبلوماسية.. هل كان بوسع نزار قباني أن يواصل أسفاره؟..

- الدبلوماسية كانت عاملاً مساعداً في كثرة أسفاري.. ولكن الشاعر المسكون بالطموح وحب المغامرة.. يستطيع أن يتعلق بجناح عصفور.. أو يسافر على ظهر سمكة.

• التمثيل الدبلوماسي تمثيلية لم يكن نزار يتقنها..

كيف أمكن أن تستمر في لعب دورك ٢١ سنة؟

أجاب: نزار:

- تحملت الدبلوماسية ٢١ عاماً على مضض.. كما تتحمل امرأة غلاظة زوج لا يناسبها.. من أجل خاطر (الأولاد).. فقط..

(الأولاد) الذين أقصدهم من كلامي.. هم قصائدي.. لأنني خفت في حالة طلاق من الدبلوماسية أن يضيع الأولاد.. وأن يتشردوا بيني وبين أمهم.

كبر عقلك يا مفيد!

• قلت إن عالم السفارات متحف من متاحف الشمع، كل ما فيه مصطنع، ومزور، وغير حقيقي، وكل المعروضات مطلية بقشرة سميكة من التظاهر

نزار .. وأنا

والنفاق لا يمكن لأى دبوس أن يخترقها وقتلت إن اللغة الدبلوماسية لغة
عائمة لا تضىء شيئاً، ولا تعطى شيئاً...

هذا الرأى فى الدبلوماسية والدبلوماسيين، هل كنت تكتمه طوال عمرك
فى السلك الدبلوماسى؟

أجاب:

لا ياسيدى، لم أكن أكتمه .. فالكتمان ليس مهنتى.

• ألم يتغير هذا الرأى بعد المواجهة السلمية فى المنطقة.. وهى المواجهة التى
يقع العبء الأكبر منها على عاتق الدبلوماسيين.

- يا مفيد.. كبر عقلك.. أى مواجهة سلمية؟ أى دبلوماسية؟ أى دبلوماسيين؟

• كدبلوماسى.. ما رأيك فى المسيرة السلمية وهل أن الأوان بالضعف ليحل
السلام فى المنطقة؟

- أنا أولاً لست - لا سمح الله - دبلوماسياً.. وإنما شاعر يكتب آراءه على حد
الخنجر...

إننى كشاعر مع سلام متكافئ، يعيد إسرائيل إلى حجمها الطبيعي،
وحدودها الطبيعية كما كانت فى ٤ حزيران ١٩٦٧... ويجردها من
مستعمراتها، ومخزونها النووى، ومخططاتها التوسعية .. وتعاليمها التوراتية التى
تريد استعمارنا من النيل إلى الفرات ..

• من هو (عسكرى مرور) العالم الآن؟

- العقيد بيل كلينتون ..

لو حكمت العالم؟

• هل انتحر النظام الشيوعى أم مات من التضخم؟

- مات من فقر (الحرية) ..

• هل يختار الأمريكيون كلينتون مرة أخرى؟

- قد يختارون هيلارى .. ولكن كلينتون لا ..

• هل شتمت الشعب المصرى يوماً ما؟

- لم أعود أن أشتم الثدى الذى رضعت منه .. ربما تخاصمت ذات يوم مع

أحد الفراعنة .. ولكننى لم أتخاصم أبداً مع نهر النيل ..

ن زاد .. وأند

• لو حكمت العالم يوماً.. ما أول قراراتك؟

- أستدعى أول حاكم عادل فى التاريخ وأكلفه بتشكيل أول وزارة ديمقراطية فى الوطن العربى .

• النظام العالمى الجديد.. هل هو جديد فعلاً؟

- لا.. إنه النظام الاستعمارى القديم ذاته.. ولكن بعد أن أجرى عملية تجميل.

• هل السياسة هى فن الكذب المنمق؟

- السياسة هى الكذب ذاته.. دون حاجة إلى تنميق..

• ماذا فعلت الأقمار الصناعية لحكام العالم؟ هل هتكت السرية داخل بلادهم؟

- لا يحتاج بعض حكام العالم إلى من يهتك أسرارهم.. إن فضائهم منشورة على حبال الغسيل..

• هل تعرف وزير داخلية إنجلترا فى عصر شكسبير؟

- لا أحد فى العالم كله يعرف هذا المجهول.. ولكن العالم كله يعرف اسم شكسبير.

العالم يحفظ أسماء الشعراء.. لا أسماء رجال البوليس.

نزار.. وأنا

السادات اجتهد بنفسه، وقرر بنفسه، ونفذ بنفسه.. وكسر بالفعل جدار الخوف
بيننا وبين إسرائيل.. وكسر معه رقبتنا.. حتى هانت المسألة في التسعينيات،
صارَت قضية السلام (صحن شوربة) يشفط منه كل الجائعين. إلى كسرة خبز..
أو قطعة جبنة.. أو كمشة دولارات..

سألت نزار:

• مَنْ من رجال السياسة في العالم تحب أن تتناول معه (غذاء كاملاً لأحوال
الدنيا)؟

- شكراً.. شكراً.. فأنا رجل نباتي، ولا أجلس على طاولة واحدة مع أكلة
لحوم البشر!!

كل واحد له صوته!

• يقول أنسى الحاج: «بعد زيارة كل شاعر يتغير العالم قليلاً أو كثيراً..»

كيف كان الشعر قبلكم.. أنت وشعراء الجيلك.. وكم تغير بعدكم؟

- من وجهة نظري، غيّر شعراء الأربعينيات من لغة الشعر ومن نماذجه
المكررة، وأخرجوه من قبضة الحكام ليجعلوه خبزاً شعبياً في متناول كل
الطبقات. كسروا حجرية القاموس، وتكلموا بلغة الحديث اليومي، حتى صارت
القصيدة تصل إلى كل الناس كالجريدة اليومية.

• مَنْ شعراء جيلك؟.. وكيف كانت علاقتك بهم؟

- المرحلة التي كتبت بها كانت مزدهمة بأسماء لعبت دوراً ريادياً في تاريخ الشعر، ومنهم في العراق، نازك الملائكة، ويدر شاکر السياب، وبلند الحيدري، وعبد الوهاب البياتي، ومن سورية عمر أبو ريشة، وأدونيس، وسليمان العيسى، ومن لبنان سعيد عقل، وصلاح لبكى، ويوسف غصوب، وأمين نخلة، وبشارة الخوري، ومن مصر، محمود حسن إسماعيل، وعلى محمود طه، وإبراهيم ناجي، وكامل الشناوي، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي. وأمل دنقل. وعلاقتي بهم جميعاً كانت طيبة.

• ما رأيك في الشعراء العرب، أدونيس، أحمد عبدالمعطي حجازي، وسعدى يوسف؟

- كل واحد من هؤلاء له صوته. وبصماته، وخطابه الشعري، ولا يحق لي أن أتدخل في التفاصيل، لأن هذا من عمل النقاد لا الشعراء.

• أنت شاعر كبير.. هل أنت شاعر محظوظ؟

- ليس في الشعر. وفي الفن بصورة عامة. شيء يسمى الحظ.. أو المصادفة.. أو البخت..

فالعمل الإبداعي. هو حصيلة عمل، وجهد، وتعب، وثقافة، ومعاناة.. وتجربة طويلة.

فنا .. وأنا ..

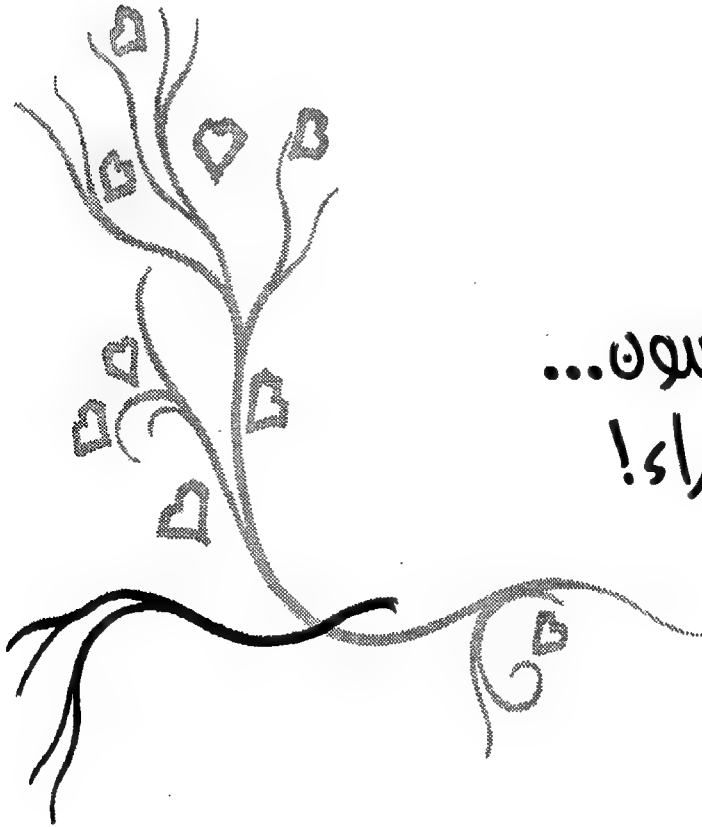
فالقصيدة ليست ورقة يا نصيب تخرج لنا من الكيس .. وإلا لأطلعت لنا
دواليب الحظ في آخر كل شهر .. فرزدقاً .. أو جريراً .. أو متنبياً .. أو شكسبيراً ..
حسب الطلب

على أن هناك . بالإضافة إلى الموهبة الأولى ، عناصر أخرى لا بد من توافرها
لنجاح الشاعر ومنها (الكاريزما) وفن العلاقات العامة .. ونبرة الصوت .. والتألق
في قراءة شعره .. وكل هذه الأشياء يتعلمها الشاعر مع الزمن والمران .. ماعدا
(الكاريزما) أو الجاذبية الشعرية ، فهي هدية من عند الله .

• باستثناء شعراء المقاومة الفلسطينية، لماذا لم يتح إلا لك وبعض شعراء
جيلك أن يبلغوا ما بلغت من الانتشار والشهرة؟

- لأن بعض الشعراء يعرف كيف يوصل شعره إلى الناس .. وبعضهم لا
يستطيع أن يقنع أية ذبابة «موجودة» في القاعة، أن تصنى إلى كلامه ..

الجمهور هو الذي يصنع شاعره ، ولا يمكن لشاعر غير مقنع أن يستولى على
جمهوره بقوة السلاح ..



مايك جاتسون...
أمير الشعراء!

النقاد يغارون من الشعراء كما تغار

امرأة من امرأة أجمل! ٢٢

مايك جاكسون...
أمير الشعراء!

يروق لى من فرط حب نثر نزار قباني أن اتامله
بشيء ما من العمق، فإن جمالياته تلفت النظر، والنقاد
تناولوا قصائده الشعرية دون أن يتوقفوا عند نثره
الجميل.

نثر نزار الذى يرد به على أسئلة الحوار الطويل،
ليس مهرجان حروف وكلمات، يسير فى شارع اللغة
مختالا بالتشبيهات والاستعارات، مزهوا بما يرتدى
من الكنايات الجميلة الملونة!

نثر نزار أبعد من هذا وأعمق. نثره (مهرجان
معان) والكلمات والحروف، أعلامها!

نثر نزار، لغة نزارية خاصة، اخترعها وصار من
السهل معرفة أسلوبه مهما اختبأ وراء إصبعه!

نثر نزار شديد البساطة، والسهولة واليسر ولكنه
مملوء بالفكرة والمعنى والإشارة!

نثر نزار (وسيلته رقم ٢) فى التعبير عن نفسه، أما
الوسيلة رقم واحد فهى الشعر.

نثر نزار يستنفذه لأنه (ينحت) من الحروف أشكالاً
جديدة من اللغة فى الكلمات التى تطاوع معانيه.

نثر نزار (هدية استثنائية لمحبيه ومريديه وقراء
دواوينه الشعرية).

وأعود إلى أطول قصيدة اعتراف بالنثر

وإذا كانت المرأة علقت على صدرى وساماً .. فقد طرزت صدرها بعشرات الأوسمة!!

• قلت إنك اعتمدت في شعرك (لغة ثالثة) تجمع بين رصانة وانضباط الفصحى، وحيوية وحرارة العامية، توفيق الحكيم قال كلاماً كهذا.. ويوسف إدريس أيضاً.

ما ضرورات استخدام هذه اللغة؟ وهل هناك فرق بينها في الشعر وبينها في القصة القصيرة والرواية والمسرح؟

- كل مبدع في بلادنا العربية، لابد أن يكتشف أننا نكتب بلغتين، ونتكلم بصوتين.. أى أننا في بيتنا، ومع زوجاتنا وأولادنا نتكلم بلغة.. وفي المدارس والجامعات والندوات الفكرية، وفي الحوارات الصحافية والإذاعية والتلفزيونية نخلع ثيابنا الأولى لترتدى لغة ثانية مكوية ومنشأة.. هي اللغة الفحصى.

مثل هذه الازدواجية كانت تشغل بالي.. مثلما شغلت بال توفيق الحكيم ويوسف إدريس. لذلك قررت أن أردم هذه الفجوة العميقة، وأكتب (بلغة ثالثة) تكون قادرة على اختراق الحاجز التاريخي بين اللغة الأكاديمية التي تتكلمها الأقلية المثقفة.. واللغة المملأى بالنبض والحرارة والحياة التي تتكلمها الأكثرية.

وقد توصلت بعد خمسين عاماً من الشغل إلى صنع لغة شعرية قادرة على ملامسة أحاسيس الرجال والنساء، الكبار والصغار، الأثرياء والفقراء، المثقفين وأنصاف المثقفين.

وإذا كنت قد وصلت إلى كل بيت عربي من المحيط إلى الخليج.. فالفضل يعود بالدرجة الأولى إلى هذه اللغة.

• نزار قباني شاعر ساهمت الأغنية العربية في انتشاره ونجوميته. هل أنت مستمتع جيد للأغاني؟ وأي الأصوات العربية أحب إليك؟

– لا ريب أن الأغنية لعبت دوراً كبيراً في إطلاقي إلى كل الآفاق. والسبب هو أن الشعب العربي يقرأ بأذنيه.. والمواطن العربي الذي لا يستطيع أن يشتري كتاباً.. بإمكانه بسهولة أن يسمع قصيدة من قصائد على راديو الترانزستور الموجود في جيبه.. أو في سيارته.

أيظن؟

استطرد نزار:

ثم إننا شعب يهزه إيقاع الكلمة المغناة.. أكثر مما تهزه قراءة القصيدة في جريدة.. أو في كتاب.

والقول بأن (الأذن تعشق قبل العين أحياناً) هو قول صحيح جداً.. من عصر إسحق الموصلى إلى عصر أم كلثوم.

أما أنا (فسميع) من الدرجة الأولى، ولكن ذوقى (دقة قديمة). فأنا مرتبط ارتباطاً عميقاً بأصوات تاريخية عظيمة كأصوات عبده الحامولى. ومحمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، وليلى مراد، وفايزة أحمد، وعبدالحليم حافظ.

• كيف حدثت مصادفة الأغنية الأولى؟

ومن كان أول سفرائك إلى المستمعين؟

- الأغنية الأولى التى انفجرت انفجاراً خرافياً فى الوطن العربى هى أغنية (أيظن) التى تغنيها السيدة نجاه بلحن الموسيقى محمد عبدالوهاب.

هذه القصيدة التى تشبه القصة القصيرة. كتبها عندما كنت دبلوماسياً فى الصين ١٩٥٨ - ١٩٦٠. وأرسلتها إلى الفنانة نجاه دون أن أعرف ماذا ينتظرها.

وعندما وقعت القصيدة بين يدى موسيقارنا العظيم محمد عبدالوهاب تمسك بها.. وأمسك العود وبدأ التلحين.

ولم يكن أحد يتصور أن قصيدة بسيطة الصياغة والتعابير مثل (أيظن) سوف تطغى على كل الأحداث السياسية والاجتماعية فى العالم العربى.. وتصبح النشيد القومى لكل العاشقين.

- يمكن أن تعوض الإنسان عن قطعة أرض صودرت. أو عن سيارة سُرقت، أو عن مبلغ من المال ضاع منه، ولكن من الذى يعرضه عن سقوط عصر ذهبي كامل أمام عينيه؟

ساندوتشات ماكدونالد

• القصيدة لماذا اختفت تقريباً من ساحة الأغنية؟

- لأن ذوق المستمع العربى صار يفضل ساندوتشات (ماكدونالد) !!

عدت بنزار إلى الورا قليلاً على طريقة الفلاش باك.

• استاذ نزار. كم كان عمرك عندما كتبت أول قصيدة؟

وماذا كان رد فعلك؟

- كان عمري ستة عشر عاماً. وكنت مسافراً فى رحلة مدرسية على ظهر مركب من بيروت إلى إيطاليا.. كنت واقفاً على ظهر المركب مبهوراً بزرقة البحر، وتراقص الأمواج، ومطاردة أسماك الدولفين للمركب.

فكرت أن أقول شيئاً.. ولكنى لم أعرف ماذا أقول؟ وبأى لغة أقول؟ وتمنيت لو ينشق البحر.. وتخرج لى من بين الأمواج سمكة قزحية الألوان.

وهكذا استجاب الله لدعائى.. وخرج لى أول بيت من الشعر من تحت الماء..
ثم خرج البيت الثانى.. والثالث.. والعاشر حتى اكتملت رحلة الصيد.. ونمت
مع أسماكى لأول مرة فى حياتى.. شاعراً

• هل تتذكرها؟

.. لا .. لا أتذكرها .. ولا أريد أن أتذكرها .. لأنها بالتأكيد لم تكن سمكة من
نوع السولومون ولكنها كانت سمكة سردين .. أو سلطعانا بحرياً

● كيف تحكم عليها الآن؟

.. صعب أن أحكم على سمكة سردين اصطدتها منذ أكثر من خمسين عاماً.

کبر عقلی

• هل تتابع زوايا الحظ والأبراج؟

.. عندما كنت مراقبًا كنت أستفتى زوايا الحظ والأبراج فى الصحف والمجلات .. وأفرح أو أحزن.

وبعد أن كبر عقلى.. واتسعت تجارى.. صرت أعرف مشاعر النساء عن
ظهر قلب.

- قلت إنك درست القانون، ولم تتراجع إلا في قضية واحدة هي قضية المرأة.. ولم تدافع إلا عن برىء واحد هو الشعر..

هل كسبت القضية؟

- قضية الشعر ربحتها.. أما قضية المرأة فهي لا تزال أمام محكمة الاستئناف!!

- قلت إن التجديد في الشعر لم يبدأ بكم..

لكن هل انتهى بكم؟

- لا يحق لنا أن نغلق الأبواب في وجه الأزهار الجديدة، والعصافير الجديدة. فأرض الشعر لا يحتكرها شاعر واحد أو مجموعة شعراء. إنها رحم لا يتوقف أبداً عن إنجاب الأولاد والمواهب.

- تكشف سيرتك الذاتية (قصتي مع الشعر) عن سوء ظن شديد بالنقاد والنقاد... لماذا؟

- لأن النقاد يغارون من الشعراء، كما تغار المرأة من امرأة أجمل منها.

وما قلته عن النقاد سبقني إليه الشاعر الفرنسي شارل بودلير حين كان جالساً ذات يوم على مقعد في غابة بولونيا في باريس، يستمتع بالهدوء، ويتأمل مفاتن الطبيعة وأسرار العصافير والعشاق

وبينما هو مستغرق في أحلامه وتأملاته، حط غراب فجأة على الشجرة التي
يجلس تحتها بودلير وعندما رآه الشاعر أشار إليه بسخرية قائلاً:
«هو ذا ناقد أدبي قد حضر».

• هل تضيق بالنقد ولا تتقبله،

أم أنك كنت قليل الحظ مع النقد والنقاد؟

- إننى أعتبر نفسى دائماً تلميذاً يريد أن يتعلم. ولم أقل يوماً إننى تخرجت
من مدرسة الشعر.. فالشاعر الذى يتوقف عن الاجتهاد والمذاكرة ويكتفى بأن
يعلق دبلوم الشعر على حائط بيته.. يحيل نفسه إلى التقاعد.

إننى مع كل نقد متحضر يتناول النص الذى أكتبه.. أما عندما (يخرج
الناقد عن النص) ويتناول أصلى، وفصلى، وتاريخى، ويتهمنى مرة
بالإباحية.. ومرة بالشعبوية.. ويصدر فتوى بسفك دمى.. فهو ناقد
(مخابراتى) أو (بوليسى).

• شعراء جيلك ومنذ قصائد هم الأولى، كانوا متورطين بشكل أو بآخر فى
السياسة.

أنت لم تكن كذلك، على الأقل فى دواوينك الأولى؟

- فى بداياتى الشعرية، كنت أعتبر قضية الحب (عقدة الأفاعى) فى مجتمعنا العربى، وكنت أرى أن المرأة هى أرض مستعمرة، وأنه لا يمكن أن يتحرر الوطن ما لم تتحرر المرأة أولاً.. ثم بدأت أكتشف مع تقدم العمر والثقافة، أن المجتمع العربى مطحون بألف عقدة وعقدة.. فنقلت خندقى إلى الجبهة السياسية والاجتماعية.

نموذج عبد الوهاب

• الطفولة - كما تقول - من مفاتيح شعرك.

وفى طفولتك رأيت العساكر وهم يأخذون والدك إلى المعتقل فى عربية مصفحة بتهمة مقاومة الانتداب الفرنسى.

كيف حدث أن هذا لم ينعكس فى شعرك؟

- فى ذلك الوقت المبكر كنت أسقط غضبى فى المظاهرات والمسيرات الطلابية.. كما كنت أومن بنظرية (الأدب للأدب)، التى كانت تطلب من الشاعر أن يتفرغ للشئون الجمالية، والرومانسية، والذاتية.. ويبعد عن كل ما هو غير شعرى، كالخطاب السياسى، أو الأيديولوجى، أو الديماغوجى.

• هل تساير الموضة، وتحضر عروض الأزياء؟

.. ملابس الفنان جزء من شخصيته ، وهى انعكاس لفكره وذوقه وطريقته فى الحياة .. أنا لا أوافق على رأى القائل إن على الفنان أن يكون فوضويا وبوهيمياً وغريب الثياب حتى يكون فناناً .. فالفن ليس مرادفاً (للبهذلة) ..

إننى أعتبر الموسيقار العظيم محمد عبد الوهاب نموذجاً للفنان الأنيق،
اللطيف، الذى يحترم جسده ويحترم عيون الناس، وذوق المجتمع.

أنا شخصياً، استفدت كثيراً من اختلاطى بـ محمد عبدالوهاب وأخذت كثيراً عن نظامه الدقيق فى حماية جسده وحماية عقله.

أما عن الموضة، فأقول إنني أحب أن أكون جزءاً من عصري، وأن أكون دائماً محتفظاً بلياقتي الخارجية حتى أكون على مستوى الشعر الذي أكتبه.

● عندما تلتقي شخصاً للمرة الأولى، هل تحكم عليه من مظهره؟

- لا.. إننى أحكم عليه بعد أن يتكلم

● **مظهر الشاعر.. هل يعنى شيئا للجمهور؟**

.. الجمهور بطبيعته لا يحب القبح ولا المناظر المنفرة.. والملابس الاستعراضية.

والمظهر الخارجى للشاعر هو جزء من قصيدته .. ومثلما يعتنى الشاعر
بترتيب كلماته .. وموسيقى قوافيه .. عليه أن يهتم بنظافة قميصه، ونظافة
أصابعه، ويبدو على المنبر طازجاً كالوردة، ومرتفع الجبين كالنخلة.

مشكلة الحداثيين

• تقول إن أزمة الشاعر الحديث الأولى هي أنه أضاع عنوان الجمهور.

هل هذا رأى فى شعرنا الحديث، أم أنك تغمز الحداثيين؟

— إننى لا أغمز أحداً.. ولكننى أحاول أن أثبت حقيقة تاريخية، وهى أن
الشعر العربى منذ الجاهلية حتى عصر النهضة، ومنذ امرئ القيس حتى أحمد
شوقى، كان له اتجاه. وهدف ورسالة.. أى أنه شعر كان له عنوان معروف، وهو
الشعب العربى كله.

لذلك يصعب على أن أتصور شعراً عربياً حديثاً لا يخاطب أحداً.. ولا يفتح
أحداً.. ولا يعبر عن أفراح وأحزان أحد.

إن صوت الشاعر لابد أن يصطدم بجدار بشرى ما .. يثبت أنه حى.. أما
الصوت الذى لا يصطدم بشئ.. فهو ليس سوى حشرة لغوية لاصدى لها.

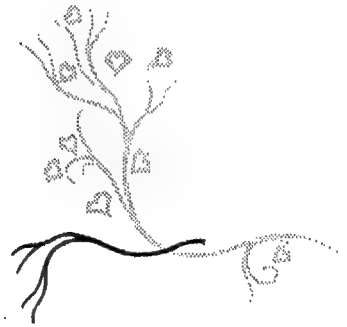
إن مشكلة الحدائيين أنهم لم يكتبوا رسالة حب واحدة لأى مواطن عربى ..
فكيف يريدون من الشعب العربى أن يحبهم .. إذا كانوا يجهلون أدب المراسلة ؟
• من الشعراء العرب الجدد يستلقت انتباهك .. ولماذا ؟

أجاب نزار:

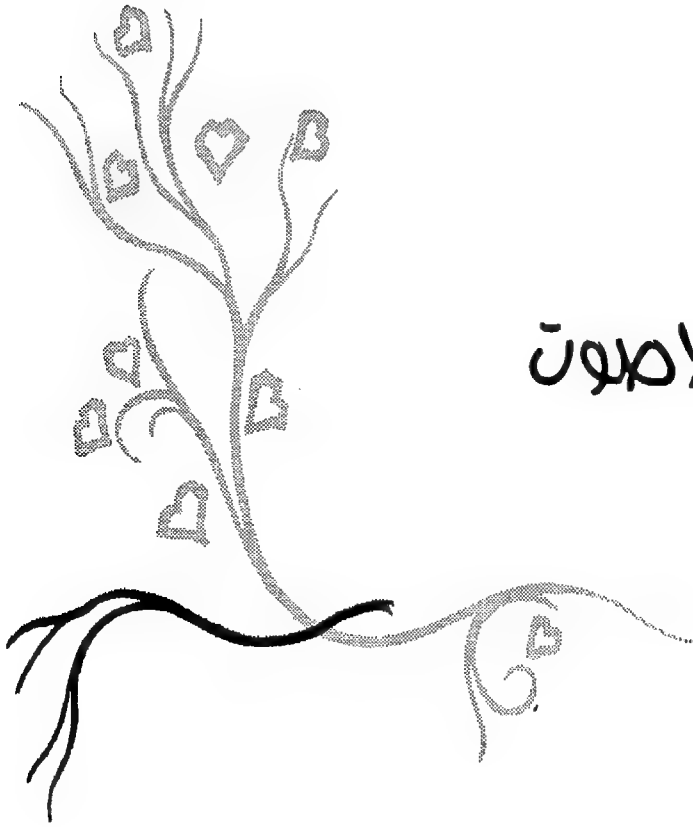
- محمود درويش هو الشاعر الوحيد الذى أعطى الحدائة بعداً جماهيرياً،
وأعطاهما شعبية لعبة كرة القدم.

محمود أبهر فى سفينة الحدائة. دون أن يخون تراثه، ودون أن يخون
جذوره .. ودون أن يخون موسيقى الشعر.

إنه يتجدد فى كل لحظة .. دون أن يقدم أية تنازلات ثورية، أو أيولوجية أو
لغوية.



أطول فصيحة أعز رافد



صوت مد لا صوت
لهم!

فائمة التهم التي وجهت لي

تكنى لإعدامي خمسون مرة!!

صوت من الأصوات لهم!

لا أحد مثله، حتى من فرسان النثر، قادر على
العزف على بيانو المحسنات البديعية في اللغة
العربية! إنها «سوناتا خاصة» من المعزوفات النزارية!
وقد كنت عبر حوارنا الطويل أو «قصيدة الاعتراف
المطولة» أسأله عن «الكلمة» وكان بإمكان نزار قباني أن
يجيب إجابة قصيرة تقليدية وترضيئي.

لكن الشاعر «فنان استثنائي» يغمس في محبرة
الجنون. ويكتب فوق ورق الورد، ولا يقصد إبهاري
متعمداً، لكنني أحس بالانبهار ولا أخفية!

فماذا قال نزار قباني عن الكلمة: «لا أعرف ما هي
الكلمة. كل الذي أعرفه أنها تفرحني وتبكي
«وتكتبني وتمحوني. كل الذي أعرفه أنها تتزوجني بلا
عقد ولا مأذون ولا شهود وتطلقني بعد خمس دقائق
لتتزوج شاعراً آخر»

إنه نزار قباني، وهذا سر خصوصيته كشاعر، وأكاد
أفهم سر «غيرة» الشعراء منه، وسر «الحرب» عليه إنه
شاعر نجم رغم أنف الحقد والحاquدين بل هو نجم
الشعراء، ومع ذلك كنت تصادمياً، وكان لي سؤال لم
يتوقعه عن .. الشعراء

- سألت الشاعر الكبير، نسمع أن الشعر يتراجع.. وأن الرواية هي ديوان العرب الجديد. هل توافق على هذا الطرح؟

أجاب:

ليس الشعر وحده هو الذى تراجع.. إن كل مواقعنا القومية والأيدولوجية، والنضالية، والثقافية، والوحدوية، والفنية.. تراجعت.. حتى استغرب التراجع من تراجعنا.

إننى لا أشغل بالى بمثل هذه التسالى الثقافية. لأنها مضيعة للوقت.. وإذا كانت الرواية قد أصبحت (ديوان العرب) فإن هذا خبر يبهجنى.

أليس جميلاً أن يبقى للعرب ديوان.. أو (ديوانية) واحدة، يمكنهم أن يشربوا القهوة فيها.

- فى المعركة التى تدور الآن حول قصيدة النثر، المعركة التى لا تكاد تختلف عن المعركة التى دارت حول قصيدة التفعيلة، والتى تبدأ من العروض واللغة، وتنتهى إلى الاتهام بالعمالة والخيانة وحتى التكفير..

• أنت فى صف من؟

— أنا من حزب الشعر.. فقط. وأما قصيدة النثر فلا أخونها ولا أحل دمها.

فن.. زار.. وأنا

قلت :

بماذا تفسر اتساع مدى التطرف في بعض دولنا العربية؟

قال :

لسبب هو التمسك الأعمى بالسلطة وعدم إتاحة الفرصة للرأى الآخر بأن يعبر عن رأيه.. السبب هو نرجسية بعض الحكام الذين لا يرون فى المرأة غير وجوههم.

سألته:

جرت مؤخرا محاولة لاغتيال الكاتب الكبير نجيب محفوظ،

وجرت قبلها محاولات الاعتداء على الكتاب وفنانين فى مصر والجزائر.

هذه المعركة بيننا وبين التطرف، كيف نكسبها فى رأيك؟

أجاب:

أفاد الذى أغمد السكين فى رقبة كاتبنا الكبير نجيب محفوظ أنه لم يقرأ كتابا واحدا له.. هذا يعنى أن الأمية هى التى تغتال المثقفين.. لذلك فإن الحل يكون بتحرير الأميين من أميتهم، وإخراجهم من الجهل؟ الذى يعيشون فيه، ويخضعون فيه للسحر والشعوذة، وغسيل الدماغ ليلاً ونهاراً.

لا حل إذن إلا بتعليم كل الناس، وتنويرهم وفتح النوافذ أمام عقولهم. فما دامت نسبة الأمية في بلادنا تبلغ ٨٠٪ من مجموع عدد السكان.. فإن الإرهاب سيظل وراءنا.

• هل حدث أن هاجمك بعض النقاد وشككوا في شاعريتك أو وطنيتك أو عروبتك أو إسلامك؟

- قائمة التهم التي وجهت ولا تزال توجه إلى تكفي لإعدامي خمسين مرة. ومع هذا فلا أزال أكتب وأنا أنزف.

• في الثمانينيات حملت أنت على شعراء السبعينيات ووصفتهم بأنهم طغمة من الهيببيين جاءوا من العدم..

وشككت في شاعريتهم وانتمائتهم..

تغيير مواقع؟ أم تغيير أفكار؟

أنا ضد كل الشعر العدمي سواء كتبه شعراء السبعينيات أو الثمانينيات أو التسعينات. إنه موقف من اللاشعر.. لا أحيد عنه.

هذه الخلطة الكيميائية!

• خاصمت المسرح الشعري رغم إعجابك به.. لماذا؟

نزار.. وأنا

وماذا عن دور عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور ولماذا تحب
مسرح اللغة العامية.. الدارجة؟

لأن المسرح بالأساس وجد من أجل الشعب، وتلبية لحاجة شعبية. وربما كان
مسرح (الحكاوي) هو المسرح الأكثر صدقا وعفوية من كل مسارح النخبة.
فلماذا لا نترك هذا الفن الشعبي البسيط، على بساطته وبرأته وتلقائيته..
ونحاول تحويله إلى درس للصرف والنحو.. أو إلى (مجمع اللغة العربية)؟؟

• لم يعط الشعراء كل النجومية لكن أعطاك النجومية، كل
النجومية..

فما إحساسك تجاه النجومية التي أعطاك الشعراياها.. وحرّم الآخرين
من زملاء سلاح الشعر؟

لا أتذكر تفاصيل هذه الخلطة الكيميائية التي جعلت مني نجماً.. ولكن الأمر
بالتأكيد لم يكن في يدي.. فكما في مباريات السباحة، والركض، وكرة القدم،
والشطرنج.. والمسرح.. والسينما.. هناك نجوم متوهجة، وأخرى أقل توهجا.
فكذلك في الشعر، حيث يسرق المتنبي الأضواء.. ويلبس أمير الشعراء أحمد
شوقي (الريدنجوت) في داره (كرمة ابن هاني) ويذهب حافظ إبراهيم بالجلابية
إلى البقاء في حيه الشعبي ليشتري علبة سجائر.

هذه اللغة النزارية ليست لغة معصومة من الإعادة والتكرار، لأنها ككل اللغات تموج وتهدأ، وتقف وتتحرك، وتصحو وتمطر، ويتساقط ورقها ثم ينبت لها ورق جديد.

• يتعرف الناس على إنسان من ملامح وجهه،

ويتعرف الناس عليك من ملامح شعرك..

ما الذى أكسب شعرك هذه الخاصية المحددة اللون والطعم والرائحة؟

- هذه ميزة أفاخر بها، وقد سبق لأستاذ فقه اللغة العربية فى جامعة دمشق، الأستاذ محمد سعيد الأفغانى أن قال عن لغتى : لو سقطت ورقة غير موقعة من جيب نزار قبانى فى الأتوبيس لحملها الراكب إلى بيته.

هذه شهادة أعتبرها من أعظم الشهادات، لأنها صادرة عن عالم فى اللغة يؤكد على تفرد لغتى الشعرية وخصوصيتها.

• مأساة لبنان هل انتهت من شرح أبعادها وآثارها على الشخصية العربية والوجدان العالمى، أم أن هناك كلمات ورصاصات وقذائف موجهة لم تفصح عنها فى سطورك؟

- ماقلته فى بيروت شعرا ونثراً وغناء.. لم يقله شاعر آخر، لأن بيروت أعطتني زوادة من الشعر، تكفى لمائة عام، كتبت فى المأساة اللبنانية كتابي شعر ونثرهما (إلى بيروت الأنثى مع حبي) و (يوميات مدينة كان اسمها بيروت).

ولم يعد هناك مبرر لإشعال الحرائق من جديد، لأن السلام عاد إلى لبنان، وأرجو أن تعود بيروت قريباً لتلعب دورها الثقافي والحضاري والريادي، في حوض البحر الأبيض المتوسط.

صوت من لا صوت لهم

- مأساة مصرفي (هوامش على دفتر النكسة) قلت عنها كما لو كنت عشتها بالفعل..

ما الجديد عن مصر تود أن تصرخ به شعرا؟

تعبت من الصراخ.. لأن صراخى على ما يبدو يفسر على صورة لاعلاقة لها بالشعر ولا بالنثر.. كل ما أريد أن أقوله، أن غياب مصر عن دورها القيادى فى العالم العربى، أخل ميزان القوى فى العالم العربى. وأن كل التمزق، والتشرزم، والضيايع الذى حدث فى المنطقة كان نتيجة لهذا الغياب.

نحن بحاجة إلى مصر قوية، ومستقرة، ومؤثرة حتى نستطيع أن نعبر بوابة القرن الواحد والعشرين.

- سلاح الكلمة.. السكن التي تشق الورق من الوريد إلى الوريد..

وأى إنسان آخر أعزل من سلاح الكلمة بم يدافع عن نفسه،

وكيف يوصل معاناته للناس؟

إذا كان من أهمية للشاعر، فهو أنه صوت من لاصوت لهم .. والناطق
الرسمى بلسان المقهورين، والمحرومين، والجائعين إلى الخبز والحرية.

وإذا كنت أنا أملك قلما يشق الورق .. فإن كل إنسان على وجه الأرض، يملك
أظافره، وأسنانه، وإرادته التى باستطاعته أن يحفر بها لحم المستحيل.

وإذا كان الشاعر طليعة متقدمة، فإن من يقرأون الشعر هم الكتائب الرديفة
التى بإمكانها أن تغير كروية الأرض، وتصنع النهار.

• هل الشاعر من الممكن أن يغير موقفه فى كل زمان وأوان؟

- الشاعر موجة دائمة السفر، وليس نصباً تذكاريًا أو تمثالاً واقفاً على قاعدة
من الحجر.

ولأن الشاعر مصنوع من مادة الحرية، وعناصر الريح، وحركة الفصول،
فإن الخيارات تبقى أمامه دائما مفتوحة .. شريطة أن يبقى دائما ملتزما بصوت
وجدانه، وأن يظل صديقا للمثل الأعلى، وللإنسان وللحرية.

• متي تحس بالعجز عن التعبير بالكلمات المنظومة؟

ما الذى يخرس صوتك؟ وأنين قلمك ماذا يسكته؟

- عندما يصبح الخنجر أكبر من مساحة الجرح.. أسكت.. وعندما تصبح
الرصاصه هى اللغة السائدة أصنع لغتى.

• الكلمة فنديل مضىء.. أم أن الكلمة نزيه جميل؟

أم أنها طوفان يغرق بسيول الصدق؟

لا أعرف ماهى الكلمة، كل ما أعرفه أنها تفرحنى وتبكينى.. وتكتبنى
وتمحونى.

كل ما أعرفه أنها تتزوجنى بلا عقد.. ولا مأذن.. ولا شهود.. وتطلقنى بعد
خمس دقائق لتتزوج شاعراً آخر.

أكبر من أحجامهم!

قلت :

إن الشاعر يستطيع أن يلغى نجوماً وأن يخترع نهراً جديداً..

ألا تعطى الشعراء أكبر من أحجامهم الطبيعية.. والمعقولة.. والمقبولة؟

نزار.. وألف

أجاب نزار قباني:

على العكس .. إننى أتواضع فى وصف سلطة الشعراء وقدراتهم الخارقة .
فما دمت أستطيع بقصيدة من قصائدى أن أطلع النهار من عيني حبيبتى ..
وأقطف أزهار القطن من بساتينها وأجعل نهر النيل يفيض على ركبتها .. فلماذا
لاتصدقونى؟؟

• الوطن العربى وطن مسكون بالشعر

والإنسان العربى دورته الدموية شعر، فلو غرسنا دبوسا فى لحم أى
إنسان عربى لتدفق منه سائل بنفسجى اسمه الشعر..
نحن نولد شعراء.

لماذا لم تقتل نحن نولد علماء، ومن بيننا العلماء فى كل مجال من
مجالات الحياة؟

قال نزار قباني:

شرف كبير أن تكون من أمة تلد الشعراء لا العلماء.

ثم استطرد يقول :

هل سمعت يوما يابانيا يقول بأنه من أمة تصنع سيارات (التويوتا) .. أو أجهزة (سونى) ؟

وهل سمعت يوما ألمانيا يفاخر بأنه يصنع (المرسيدس) ؟

وهل سمعت يوما إيطاليا يفتخر بأنه يصنع جينة (الروكفور) ؟

ربما - يامفيد - كنا متخلفين تقنيا، ولكن شعريا من أرقى شعوب الدنيا.





امرأة تصطاد السياسي!

” لم أفكر أبداً في التأمين

على .. أصابعى ”

المرأة تصطاد السياسي

أين كنت؟

كنت في «زيارة طويلة، مرت كلمح البصر لقلب كبير، عزفت الآمال والألام على أوتاره، لكنه حول هذه العذابات فناً يسكن وجدان الشعب العربي ومازال يقيم»

كنت أقضي «جلسة طويلة طويلة، مع صديق فتح لي ولكم قلبه على مصراعيه، حرضته على البوح، فباح، حرضته على الكلام، فتكلم وكانت الحصيلة (أطول قصيدة اعتراف).

كنت في «مغامرة، داخل (منجم) شاعر، يمتلئ بـ «ذهب» المعاني و«فضة» الحروف، وعشت أحلى أوقات العمر وأنا أتناوق بعيني وبأذني هذه السبائك النادرة من اللغة.

كنت في «بحر فنان قذيفة، أقوم بإبحار بين شواطئه وكان البحر سلساً، وعذباً وكان قاربي فيه مجدافان، أحدهما الصبر والثاني الإرادة. وأظن أن إبحاري الطويل كان إضافة أو على حد قول الشاعر الكبير نزار قباني (الجزء الثاني من قصتي مع الشعر).

ها هو قاربي يقترب بهدوء من الشاطئ، و«لم أكف عن السؤال، على حد تعبير سناء البيسى التي نصحتني يوماً: (لاتكف عن السؤال).

- أن أستيقظ صباحاً، وأجد تحت مخدتي قصيدة جديدة.

فجأة قطعت الحوار والإبحار وسألت نزار:

• هل أرهقتك بالأسئلة؟

أجاب:

الأسئلة الذكية لا ترهقنى.

• هل مللت الحوار؟

- منذ ربع قرن، وأنا أتناور معك يا عزيزى مفيد ولم أمل.

• هل تعرضت لفكرة الموت فى قصائدك؟

- نعم كتبت عن الموت فى كل المراثى التى كتبتها لأبى، ولولدى الراحل توفيق وللحبيبة الراحلة بلقيس.

نجيب محفوظ قال لى (لا أخاف الموت) ولكننى أخاف المرض..

- هذا صحيح لأن الموت يحسم الأمور، بينما المرض يتركها معلقة.

• فى تونس، كل امرأة حبلى يقولون أنها ستلد شاعراً،

هل شعرت بهذا فى أمسياتك الشعرية؟

- نعم .. شعرت بهذا فى أمسية شعرية فى مدينة النبطية فى جنوب لبنان، حيث كانت الأمهات يرضعن أطفالهن خلال الأمسية الشعرية حتى أحسست بأن القاعة التى كنت ألقى فيها شعرى تحولت إلى مستشفى للولادة!!

• قلت لى مرة أنك مخذول فى قوتك الجسمانية، رغم عافيتك النفسية، هل هى شيخوخة الشاعر؟

- شيخوخة الشاعر تبدأ حين تشيخ أصابعه ويتوقف جهاز الالتقاط فى عينيه .. وفى ذهنه .. وبالنسبة لى، فما دامت أصابعى تتحرك فأنا بخير.

• كيف تقاوم موت الشاعر فيك؟

- أقاومه بكتابة الشعر .. فالموت لم يستطع أن يسكت المتنبئ، وشكسبير وغوته وهوميروس وبودلير، ورامبو رغم مرور مئات السنين على غيابهم.

المرأة والسياسى

• من الذى اخترع الصدق؟

- الأطفال.

• إمارة الشعر.. من - بحق - يستحقها؟

- عصافير الكنارى.
- ماذا يرهقك من الناس؟
- كلامهم عن أنفسهم.
- لم أعرف رؤية شاعرنا فى اختراع (الدش) ..
- وفى جاذبية محطاته.
- الدش أروع اختراع صنعه الإنسان لأنه قتل الرقيب.
- كيف تفسر سحر المرأة فى السياسيين واستقلالات بالجملة من حكومات..
- هل السياسى نمط يسهل تأثير المرأة؟
- المرأة تصطاد السياسى، لأنها تريد أن تكتب مذكراتها.
- ما تعريف الضمير عند نزار قباني؟
- الضمير هو ذلك الصوت الداخلى الذى نتحاشى أن نسمعه.
- قلت:
- عبودية عصرية تمقتها، ماهى؟

أطول قصيدة أنشأها

قال:

التليفون النقال (Mobile) فى يد الثرثارين والمراهقين .. والعاطلين عن العمل .

ياأستاذ نزار:

• هل تصلح المرأة .. حاكما؟

- لماذا نرفض أن تحكمنا النساء؟

أليست صوفيا لورين أجمل وأعدل .. وأكثر ديمقراطية من الرفيق
نشاوتشيسكو؟

أليست ايلينا ميركوى أكثر ثقافة من الرفيق ستالين؟

• قصيدة لا تعترف بها؟

- لا أعترف بقصيدة لى لاتفتح ثقباً فى الأوزون .

• أهم إنجازات الشاعر نزار؟

- من أهم إنجازاتى أننى جعلت الشعر جمهورية .. شعبية .. ديمقراطية .

• هل دخلت يوما بيت الطاعة كشاعر؟

- الشاعر الذي يقبل أن يدخل بيت الطاعة.. يخسر بكاره الشعر.

التأمين على أصابعي!

• هل الشعر مادة ترفيهه عن الإنسان في زمن الضغوط؟

- القصيدة ليست جهازاً لتكييف الهواء ولكنها السكنى فوق خط الاستواء.

• هل تؤمن كشاعر على أصابعك؟

- خلال خمسين عاما كتبت ألوف القصائد الانتحارية ولم أفكر أن أؤمن

على أصابعي لدى أية شركة تأمين.

• المرأة هاجسك الأبدى؟

- كانت المرأة دائما حبيبتي وسوف تبقى دائما حبيبتي.. لكنني أضفت إليها

(ضرة) جديدة تدعى الوطن.

• أنت ممنوع في بعض الدول؟

- أنا ممنوع في كل مكان.

إذن.. فأنا مقروء في كل مكان.

• صف لي نوعية «شهرتك» العريضة؟

- الشهرة ذبحتلى.

كيف بوسعى أن أكون مع مائتى مليون عربى فى وقت واحد؟

• هل اشتهرت بشدة عندما غنوا قصائدك؟

قال نزار قبانى:

- عندى رأى لا أخاف أن أعلنه:

وهو أن الموسيقار محمد عبدالوهاب هو الذى جعل أمير الشعراء أحمد شوقى .. شهيراً ومقروءاً على امتداد الوطن العربى. لا العكس.

ولولا محمد عبدالوهاب لبقيت (ياجارة الوادى). و(علموه كيف يجفوفجفا)
(ردت الروح على المضنى معك) و(ياناعما رقدت جفونه) و(مصنك جفاه
مرقده) (ياشراعا وراء دجلة) .. مطروحة مع ألوف الدواوين على سور حديقة
الأزبكية.

وأتصور أن أمير الشعراء، كان أيضا (أميرا للعلاقات العامة) وكان ذا حدس
مستقبلى رهيف.

لقد كان يشعر فى أعماقه أن شعره «المكتوب» سيكون جزءاً من تراث عصر النهضة، ولكنه كان فى نظرى يتطلع إلى ما بعد عصر النهضة، بل كان يريد أن يكون موجوداً فى كل العصور.

وعندما استمع أمير الشعراء للمرة الأولى إلى صوت محمد عبدالوهاب الجميل الجديد، الواعد، أدرك أن هذا الصوت سيكون جسره إلى الجماهير، ومفتاحه إلى الأزمنة القادمة.

إنها صفقة تاريخية مذهشة.

ريح فيها محمد عبدالوهاب كنزاً من القصائد، وثروة شعرية لا تقدر بثمن.

وضمن فيها أمير الشعراء أحمدى شوقى كرسيه دائماً فى كل العصور.

مايا وردة جميلة!

• ماذا قصدت من قصيدة مايا الطويلة المطرزة بدانتيل الأحاسيس

والأشجان؟

- مايا وردة جميلة خطر ببالي أن آخذ الكاميرا الشعرية.. وأصورها.

أنا لست معقداً أمام الجمال..

• الجنس لدى المرأة؟

- الجنس لدى المرأة استيطان ولدى الرجل سفر.

• المرأة وبيت الطاعة؟

- ثمة نساء يعتبرون بيت الطاعة مريحاً كفندق (دورشستر).

• هل هناك فرق بين كلمة تعيش وتتعايش؟

- المرأة التي تتعايش مع رجل تكرهه تشبه السمكة التي تتعايش مع صنارة الصيد.

• هل تؤمن بكلام الأبراج في الحب؟

- المرأة تتزوج الغول، بعد أن تستشير النجوم، والأبراج، وفناجين القهوة.

وبعد أن يأكلها الغول.. تخرج من بين أضراسه لتتزوج مرة ثانية!!

• الفرق بين المرأة والقطعة؟

- المرأة.. والقطعة لهما قضية واحدة لا تحل إلا بالأظافر.

• متى ندخل نادى المتحضرين؟

- لن ندخل إلى نادى المتحضرين .. مالم تتحول المرأة لدينا من شريحة لحم.. إلى معرض أزهار.

• هل تفضل المرأة حباً واحداً يكفيها؟

- المرأة تكتفى بعصفور واحد والرجل مقال نساء.

• الفرق بين جسد الرجل وجسد المرأة؟

- جسد الرجل يحمل جواز سفر دبلوماسياً وجسد المرأة يحمل تذكرة مرور صالحة لسفرة واحدة فقط إلى زوجها.

أنا شاعر تصادمى!

• قيمة الشاعر؟

- لا قيمة لشاعر لا يحدث شغباً داخل اللغة.

• هل أنت شاعر تصادمى؟

- إننى شاعر تصادمى إذا لم أجد من أتخاّن معه، تخانقت مع ورقة الكتابة.

• إحساسك بالمتنبى.. أريد أن أعرفه؟

نزار .. وأنا

- يقرأ أبو الطيب المتنبي شعره فى (هايد بارك كورنر) فى لندن .. فيطلب منه الأطفال الإنجليز أن يوقع على دفاتر أوتوغرافاتهم، حتى يخبروا رفاقهم فى المدرسة أنهم شاهدوا شكسبير لابسا عباءة.

• عرب المتنى كيف تراهم؟

- أصبح عرب المنفى أكثر من عرب الداخل. حتى صار يحق لهم أن يحصلوا على مقعد فى هيئة الأمم المتحدة.
قلت للشاعر نزار قبانى:

• هل فى الأسئلة (نبرة استفزاز) لك؟

- لا تشغل بالك .. فحياتى الشعرية كلها هى مسلسل استفزازات.

• هل لديك سؤال خاص توجهه لى، وأنا أختتم حوارنا معاً؟

- نعم .. لماذا يا عزيزى مفيد لا تترك الصحافة وتشتغل وكيل نيابة؟
مع آخر فنجان قهوة نرشفه فى بيت نزار فى لندن.

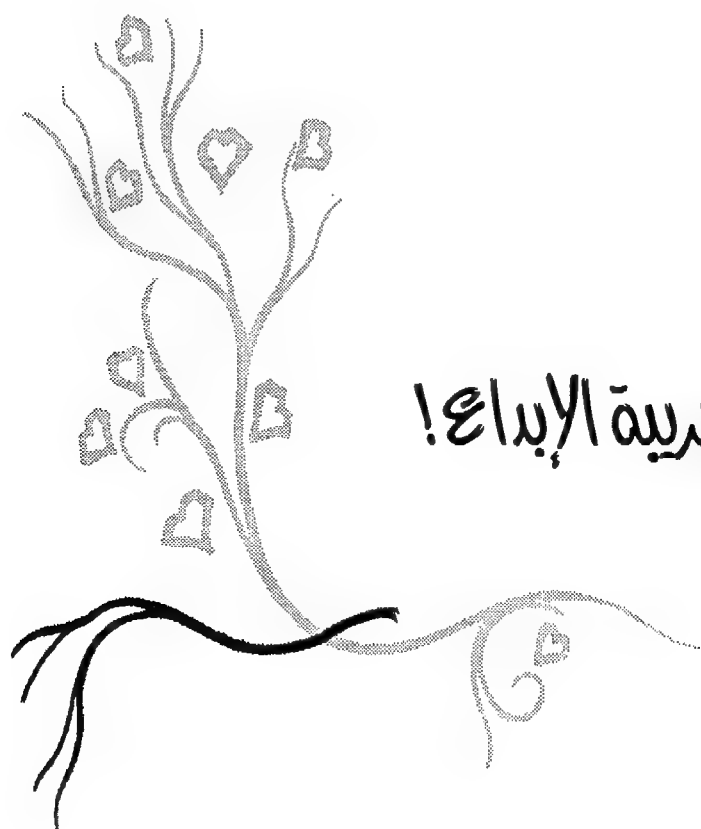
قلت:

اختطف الموت أضر الناس لديك الأب، الابن، الزوجة،

كيف تعاملت مع الموت في كل مرة؟

- صمت نزار وقال: ليست هناك استراتيجية للتعامل مع الوت.. فالموت
يطرق بابنا بلا موعد.. ويأخذ أحبائنا بلا استئذان، وليس أمام المرء سوى أن
يرضى بما كتب الله.. ويوقع على صك الاستسلام.. بلا نقاش.





نحذ ندفع هندية الإبداع!

” لا أعترف بفصيدة لي

لا تفنح ثقبها في الأوزون ”

نكهة ندفج هندية الإبداع!

لهذا الحديث، حكاية:

وتهادى نهر الحوار بيننا في أمسية جميلة، وكانت
مضيفتنا ابنته التي تقيم معه الآن. وفجأة تحشرج
صوت نزار وأشار لي أن أوقف المسجل. وقال وهو يتكلم
بصعوبة: إنها آلام «الدسك»، عذاب فقرات الظهر
وجمعت أوراقى ولكنه سألنى: هل تبقى الكثير من
أسئلتك؟

• انت الآن تسكن في لندن بعد طول رحيل،

ماذا تعنى لك هذه المدينة؟

كيف ترسم لنا علاقتك معها؟

نزار:

لندن علمتني كيف أحب اللون الرمادي. حين دخلتها عام ٥٢ كان جسدى
مغطى بالغبار الصحراوي، وعندما اصطدمت بأول غمامة رمادية، تحول الغبار
في داخلي إلى ماء، ومثلما اصطدم الشاعر العربي ببساتين الأندلس وأشجارها
ونوافير مائها، فتغير هو وتغيرت لغته وتغيرت صياغته وأشكاله الشعرية،
اصطدمت أنا بالريف البريطاني فتغير خطابي الشعري وأصبحت أكتب باللون
الرمادي وأعشق باللون الرمادي. في لندن تخلت عن بداوتي وركضت كطفل
مبهور على أعشاب هايدبارك، وهولاند بارك وكانت حصيلة إقامتي اللندنية
الأولى عام ٥٢ - ١٩٥٥، مجموعة شعرية بعنوان قصائد أعتبرها من أهم
أعمالي الشعرية. علمتني لندن أيضا، كيف أتحرق من صدام الجنس وكيف
أنادي المرأة (يا صديقتي) بدلا من (يا عشيقتي) وكيف أذهب مع امرأة الى
المسرح أو إلى المطعم أو إلى الكونشيرتو دون أن أستعمل أظافري وأسنانى.

نزار.. وأنا

تعلمت - يا أخى - كيف أتأمل بطة سباحة فى بحيرة أو زهرة سباحة بعبيرها أو شجرة مزهوة بكبرياتها.

• ما الفرق بين المرأة الانجليزية والمرأة الفرنسية فى عين الشاعر؟

نزار:

الفرنسية فضيحة معلنة . وأنا (ما باحب الفضائح المعلنة) أنا أحب أن أكتشف المرأة . لا أحب امرأة تعطى كل شىء من اللحظات الأولى .

مع المرأة الانجليزية ستارة ولا ينكسر بينك وبينها أى شىء ويبقى الوهم . وأنا أصر على كلمة الوهم .

نحن نصنع جمال المرأة وفتنتها ونشكلها بوهمننا . أنا أحب المرأة التى أصنعها مثل بجماليون!

• أنت محاط فى هذه المدينة بأباطرة الموضة والأزياء..

هل هى صفة، أم هذا اختيار شاعر؟

نزار:

لم أكن أعرف سلفاً قيمة هذا الشارع، فإذا بى أكتشف فى كل خطوة أمشيها، أنى أمام فترينة لمصمم عالمى شهير من مصممي فرنسا . جميل أن يتوضأ

• يبدو أنك كنت بحاجة للإطار العائلي.

ها أنت وابنتك معا في بيت واحد.. ألازلت تشعر بوحدة؟

نزار:

كنت بحاجة لهذا الإطار العائلي كما قلت. ابنتي الثانية متزوجة وتقيم في لندن على مقربة مني. لقد قطعت سنوات طويلة متوحدا مع شعري، وأنا لا أنكر أهمية الوحدة للشاعر. في جنيف كنت متوحدا أنا وبحيرة وبطة وعصافير وأوراق. اختنقت. وكان لابد أن استنشق بعض الهواء العائلي. فكانت زينب تدرس في لوس انجلوس (الفاشيون ديزاين) تصميم الأزياء وأنهت دراساتها وجاءت الى لندن لتعيش معي. وابني عمر يدرس الكمبيوتر في بوسطن وسيهيء دراسته بعد عامين وسوف يأتي لينضم إلينا.

• يأتي السؤال عن بلقيس طبيعيا هي سيناريو الجوار:

أسألك، بلقيس الزوجة والرفيقة والشهيدة الحاضرة الغائبة،

كيف تستحضرها بعد سنوات من رحيلها؟

نزار:

توقعت منك السؤال خصوصا بعد أن «فرشت» بسؤال سابق عن الإطار العائلي. متعة الحوار معك أنه (لوحة منسوجة) .

وأعود لسؤالك. بلقيس جزء من عمر ومن عيش مشترك ومن تاريخ. إنها نموذج نسائي لا يتكرر بسهولة. أهم ما فيها هو عقلها وكبرياؤها، وأنا لا أعترف بأية امرأة لا عقل لها، ولا كبرياء لها. كانت صديقة شعري قبل أن تكون صديقتي، وكانت تقسم الحياة معى نصفين واللقمة نصفين والقصيدة نصفين. لم تكن تغار من أحلامي ومن أوراقى ودفاترى، ولم تكن تعتبر قصيدتى «ضرة» لها، بل كانت جزءا من مجدها الشعري.

• هل عشت حبا تعطشت إليه،

هل لديك حنين ما بتعرف لمن؟

نزار:

أنا فى حالة حب لا ينتهى. وليس بالضرورة أن يكون حبا نسائيا. أنت تستطيع أن تحب كل الأشياء الجميلة. كانت المرأة دائما حبيبتى وسوف تبقى دائما حبيبتى.. لكننى أضفت إليها (ضرة جديدة) تدعى الوطن. وأنا خلصت إلى عدة حقائق مع المرأة. فالرجل العربى يمضغ الطعام بسرعة ويمضغ النساء

بسرعة، ولذلك فهو مصاب بقرحتين! والجنس لدى المرأة استيطان ولدى الرجل سفر! والمرأة والقطعة لهما قضية واحدة لا تحل إلا بالأظافر! وحرية المرأة ليست مكياجاً تضعه على وجهها للتجميل، بل هي (كوريدا) إسبانية، لا بد في آخرها من قتل الثور! وأدركت أننا لن ندخل إلى نادي المتحضرين ما لم تتحول المرأة لدينا من شريحة لحم إلى معرض أزهار. نعم جسد الرجل يحمل جواز سفر دبلوماسياً وجسد المرأة يحمل تذكرة مرور صالحة لسفرة واحدة!

• يا عزيزي نزار، أظن أن أمسيات المريد العراقي لم تكن لوجه الشعر؟

إنني أسألك بعد أن طال صمتك؟

نزار:

والله لم نكن نعرف هذا. كنا نذهب وكنا نفرح. ما كان أحد يتصور أن تنقلب الأمور إلى عكسها. كنا نذهب - من منظورنا - لوجه الشعر لا لوجه الحاكم ولا لمديحه. وأنا في حياتي لم ألق قصيدة في المريد ولا في غير المريد أمدح فيها حاكم البلد الذي أزوره.

أنا أقرأ قصائد العنيفة والجارحة والصارخة وأحزم حقائبى وأمشى.

المريد كان عبارة عن موسم من المواسم الثقافية، وكنا نجتمع فيه بأصدقاء وشعراء من كل الدول العربية وربما كان هذا هو الريح الوحيد.

أما فيما يتعلق بي، فلم تكن قصائد منبرية ولا تكلمت في العنتریات ولا
احترفت الكذب ولا لبس الأقنعة.

لم أرفع قبعتی لأی حاكم مهما كان شأنه، لذلك إذا كان المرید تحول الى
شئ آخر أو هیء ليجمع أصوات شعراء فهذا لم يكن فی الحسبان، حساب أحد
وأنا هنا أدافع عن جميع الشعراء ولا أدافع عن نفسی فقط. أعلنها لك: كل الذين
ذهبوا للمرید بما فيهم أنا، ذهبوا لوجه الشعراء!

• لماذا لم تكتب شعرا خلال حرب الخليج،

فی حين كان الناس ينتظرون سماع صوتك؟

نزار:

هذا سؤال جيد توقعت أن تبدأ به حوارك، ولكنی أحفظ طریقتك! إنك توحى
بأسئلتك الأولى بالطمأنينة لمن نحاوره، ثم بهدوء شديد تدخل الى بيت القصید!

السؤال لماذا لم أكتب شعرا خلال حرب الخليج؟

لأن قصيدة الشعر ليست غسالة أوتوماتيكية تغسل وتعصر وتنشف خلال
نصف ساعة! العمل الشعري عمل مسئول يتطلب الشغل الطویل والصبر الطویل
حتى یصل إلى مرحلة الاختمار والنضج. أنا ضد الأعمال الانفعالية المسلوقة فی

الفن، والقصيدة ليست صراخا فى مظاهرة أو إعلانا انتخابيا أو تعليقا صحفيا سريعا فى جريدة يومية، إنها عمل ثقافى وتاريخى مسئول، وأنا لا يمكن أن أخون تاريخى! كل الثورات التى مرت فى العالم لم تظهر آثارها على الورق إلا بعد سنين. خذ بيكاسو، عندما رسم لوحته المشهورة عن الحرب الأهلية الأسبانية عام ٣٢ رسمها فى باريس فى الخمسينيات أو الستينيات، بعد مرور ٣٠ سنة على انتهاء الحرب الأسبانية.

• هناك بعض المفردات التى تداولتها الأئمة خلال حرب الخليج ومنها كلمة (اختراق) وقيل بوضوح إن هناك اختراقا لبعض الأدباء وبعض الشعراء وبعض المثقفين الذين انحازوا إلى الجانب العراقى وآثروا الصمت!

هل..؟

نزار:

تسألنى هل تعتقد أن الأديب أو الشاعر أو المثقف يمكن اختراقه. والله هذا يتوقف على الجهاز العصبى للكاتب وعلى جلده، فإذا كان جلده من الرقة والشفافية والأنوثة أمكن اختراقه وهذا لا يستحق كلمة أديب. الأديب رجل له عقل وإرادة وتماسك ولا يجوز بأى حال (اختراقه) ومن تحدثوا عن غزو ثقافى

وأنا مهزومون ثقافيا، غير صحيح، لا أحد يستطيع أن يغزو أمة أو عقلا أو قلبا
أو فكرا إلا إذا كان هذا الفكر (منبطحا) أى انبطاحيا كما يقولون أو راغبا أو سريع
العطب. لذلك لا أفهم أن يتطوع أحد ويقول إنهم (اخترقوني) لأننى أثرت
الصمت لأن القضية ليست عملا مسلوقا!

وأعود مرة أخرى للمريد. لقد كان سوقا ثقافية ككل أسواق العرب التاريخية
كسوق عكاظ الشهير. كنا نذهب ببراءة وطفولة. لم يكن أحد منا يفكر بأن
الجهاز الإعلامى سوف يستغله أو يبتزّه أو يجنده لخدمة طموحات النظام
السياسية. وباستثناء قلة من الشعراء، احترفت مديح الخليفة العباسى وإحراق
البخور له، فإن الشعراء الذين يحترمون أسماءهم وتاريخهم الشعرى، لم يتورطوا
فى عملية تجميل النظام بل دخلوا إلى المريد وخرجوا منه وهم يحتفظون
بكبريائهم وكبرياء الشعر.

● قصيدة مايا، عرضتني للهجوم، البعض قالوا، كيف تنشر عملا جنسيا؟

نزار (بغضب):

هؤلاء لم يقرأوا القصيدة. ما يا، عبارة عن وردة جميلة سمحت لنفسى أن
أخذ كاميرا تصوير وأصورها بكل فتنها وكل أنوثتها دون إسفاف ودون هبوط.

مايا قصيدة حضارية ١٠٠٪. الحقيقة أنا صورت مايا ولم أخجل من تصويري، لأنني لم أخجل أمام الجماهير ولا مايا اختلجت من التصوير! مايا - كما قلت لك - ورده جميلة، وكل الورود تحب أن تتعطر وأن تتكحل وأن تلبس خواتمها وأساورها، وهل تتصور أنه ليس هناك امرأة في العالم لا تريد أن يكون لها صورة جميلة.

• هل تعتقد أن الشعراء يصنعون الديكتاتور؟

نزار:

نعم. لأن قصائد المديح والتبخير والتطليل والزمير تساعد كثيرا على صناعة الأوثان. وكم من وثن صنعناه بالشعر والصحافة والأدب، دعني أقولها بصراحة يجب ألا نبريء أنفسنا ككتاب من صياغة أو صناعة الديكتاتور.

الديكتاتور نرجسي ويحب ذاته ويعتبر نفسه الأجمل والأعدل كما قلت في قصيدتي السيف العربي يعتبر نفسه سيدنا يوسف عليه السلام. كل ديكتاتور لا يصدق إلا كلمة المديح، وحينما نقول له: لا، فافراً السلام على روحك.

جزء كبير من المسؤولية يقع على الشعوب وعلى الكتاب الذين هم طليعة ثقافية، فعندما يشترك المثقفون في الكورس يتحولون الى نقابة للشحاذين!

• بعد خمسين عاما من رحلة الشعر،

هل تتصور أن فن النقد كان على مستوى الشعر العربي؟

وهل استفدت من نقد ناقدك؟

نزار:

بكل صدق أقول لك إن النقد لم يعلمونى شيئا. لم يكونوا لافتة تدلنى على الطريق، إنما كانوا حاجزا مليئا بالأشواك والمسامير وأكياس الرمل على الطريق، طريقى!

إن النقد العربى كالسلوك العربى، قائم على العصبية والتوتر والانفعال. إنه نقد «غرائزى» يستعمل الأنياب والأظافر فى التعامل مع الشعر.

إننا لا نقرأ النص الشعرى بحضارة وموضوعية وروح علمية، إنما نهجم على حياة الشاعر وخصوصياته بالهراوات والسكاكين حتى تتحول القصيدة بين أيدينا إلى جثة! وباستثناء بعض النقاد المنهجيين، فإن فن النقد لدينا تحول إلى حفلة ملاكمة يابانية، وأعتقد أن الصحافة اليومية غير المتخصصة لعبت دورا سلبياً فى تسطيح الشعر حتى جعلته مرتبطا بدواليب المطبعة وأرقام التوزيع وحصان السياسة والأيدولوجيات!

• ماذا يبهر كتاباتك النثرية «مائة رسالة حب»

هل هذا نهاية حتمية للشكل؟

نزار:

لا أعتبر أن النثر هو الشكل النهائي للشعر. وأنا لا أؤمن أصلاً أن هناك نهايات مطلقة للشعر. أنا ضد الوثنية الشكلية بكل أنواعها، وأنا أرى أن المبدعين الحقيقيين يتجاوزاتهم اليومية لأنفسهم يستطيعون أن يهربوا من فخ الشكلية.

بالنسبة لى، فإننى منذ عام ١٩٦٦، وعلى وجه التحديد منذ أن أصدرت مجموعتى الشعرية «الرسم بالكلمات» أدركت أنني أنهيت دورة شعرية كاملة، وأن كل تحرك منى على المحور ذاته سيكون فيه مقتلئى.. وبدأت أقلق وبدأت أخاف أن يسقط المسرح من تحتى. وبدأت أبحث وأشتغل على معادلات شعرية جديدة تنقذنى من قطار الشعر العثمانى المتدهور.

أول محاولة للخروج من قطار الأشباح، كان «كتاب الحب» وفيه حاولت أن أقص جميع النتوءات اللغوية فى بلاغتنا العربية، ثم كما أشرت كانت تجربة «مائة رسالة حب». باختصار أن يدى - دوما - موجودة فى الصلصال الساخن، أجد نفسى محاطاً بتحويلات تاريخية حضارية تدفعنى إلى أن أغير جلدى اليومى وأغير أصابعى إذا اقتضى الأمر وإلا سقطت تحت عجالات التاريخ!

• كيف يمكن للشعر أن يتوجه إلى المستقبل؟

نزار:

بالانقضاء والتجاوز وكسر الساعات الرملية التي جبست الزمن الشعري
العربي في إطارات ومربعات ودوائر تشبه نقوش القيشاني المرسومة على
حيطان حمامات دمشق. بالحرية وحدها، نخرج من مرحلة القيشاني ونكتب
على جدران العصر، وبالحرية ندخل إلى أرض الدهشة والمفاجآت حيث الجبال
تتحرك باستمرار والأشجار تطول وتقصّر على كيفها والأحجار تغير شكلها في
كل ثانية والأرض تضجر من كرويتها، والأرض حبلى بملايين الاحتمالات!

• هل يستطيع الشاعر أن يكتب كوكبا أو قوس قزح أو قاع بحر؟

نزار:

نعم، يستطيع! ألا تشم في «المقبرة البحرية» لفاليري رائحة الأعماق؟ وفي
شعر لوركا ألا تسمع هفيف مراوح الأسبانيات؟ وفي شعر ووردز وورث ألا
يغلفك ضباب الجزيرة البريطانية وسماواتها الرمادية؟ و(عيون الزا) أليس قوس
قزح رسمه أراغون بأجمل ألوان اللفافة؟

• هل ترحب بأن تحكمنا النساء؟

نزار:

ولماذا نرفض أن تحكمنا النساء؟ أليست صوفيا لورين أجمل وأعدل وأكثر ديمقراطية من الرفيق تشاوتشيسكو؟ أليست ميلينا ميركوري أكثر ثقافة من الرفيق ستالين؟!

● قل لي لماذا الكتاب والشعراء والمفكرون تدق عليهم «الجلطة»... وتزورهم وقد تقيم في صدورهم أو قلوبهم أو عقولهم؟

نزار:

نحن ندفع ضريبة الإبداع، ليس هناك شيء بدون ثمن في هذه الحياة. الشاعر أو الكاتب الحساس أو الروائي عبارة عن رجل انتحاري، ينتحر يوميا على ورقة الكتابة حتى لا يبقى سوى رماده. حين أصبت بالذبحة القلبية عام ٧٤ قلت إنني لست غاضبا فلابد أن أصاب بذبحة قلبية لأنني لست بقالا ولا موظفا ولا بائعا ولا قومسيونجيا ولا صرافا. هؤلاء ليس لهم هموم ولا يصابون أصلا بذبحة قلبية. أما حين أعيش فوق قنبلة موقوتة وأعيش على طرف زلزال فلا أستغرب زيارة للجلطة!

• تعشق الجميلات؟

نزار:

ليس هناك قانون للجمال، أكره ملكات الجمال في العالم. إنهن لسن ملكى.
لقد خلقوا لكل العالم. والمرأة التى أحبها. لى وحدى. ملكة الجمال مقاس
خصرها ٣٢ وعرض صدرها ٩٠، هذه مقاييس للمهندسين فى بناء البنايات.
كل ملكات الجمال، بتقرير لجنة حكام مثل لجان ترقية الموظفين! ما يلفت
نظرى لامرأة ما، أنها تحبنى وتشعرنى برجولتى وأهميتى، وتصادق قصائدى
ولا تغار منها!





الفرق بين السياسي
والشاعر... كبير!

٩٩ الالتصاق الطويل

يقتل الحب ٩٩

الفرق بين السياسي والشاعر... كبيراً

الشاعر اخلد من السياسي، لأن الفن أبقي من السياسة . وعندما احاور رجل سياسة ارتدى مثله اقنعة، لأنني اعرف اني ادخل في مباراة. من يكسب فيها، ذلك الذي يحمل وجه مقامر، وجهها بارداً خالياً من أى انفعال. أما الشاعر (حين احاوره) أخلع كل الأقنعة وأشعر اننا نجلس فوق ريوقة على كتف نهر! وحين كنت أشارك نزار قباني تلك الأمسية اللندنية، كنت أشعر أن الحروف حولنا تتراقص، فهذا مهرجان الكلمة! ومثلما اللوحة بحاجة إلى من يراها والتمثال بحاجة إلى من يلمسه والسيمفونية بحاجة إلى من يسمعها، كذلك القصيدة بحاجة إلى الاحتضان، ربما لأن الشاعر أكثر الفنون حاجة إلى الانسان لأنه مشتبك بلحم الانسان وبضمه، بحنجرته، وأظن أن الشعر تقدم تاريخياً على كل الفنون الأخرى. فقبل أن يتمكن الانسان من تهذيب الحجر وتركيب الوتر، استطاع أن يجد الصلة بين ليله الطويل وبين شعر حبيبته في أول قصيدة غزل!

رحلة نزار منذ أدمن السفر تغرينى بكتاب يضم حوارا واحدا معه وليس حديثا صحفيا فى بضع صفحات. منذ دأب نزار السفر وعرف دوار البحر صارت سطوح المراكب سريره ومقاعد الطائرات وطنه. وصار قلبه مليئا كحقيقية امرأة، وكرويا كالأرض ومزدحما كمدن الصين!

ولو قدر لى يوما أن أقنعه بفكرة الحوار الطويل، لقمت معه داخل رأسه من شمس القاهرة إلى مآذن استنبول إلى أ مطار هونج كونج إلى نافورات روما إلى شحوب لندن إلى مرتفعات اسكتلندا إلى ثلوج موسكو إلى معابد تايلاند إلى حائط الصين إلى نبيذ الراين إلى مقاهى الرصيف فى سان جرمان إلى ملاعب مصارعة الثيران فى اسبانيا إلى كهوف الغجريات فى غرناطة إلى حقول التوليب فى هولندا إلى كريستال البحيرات السويسرية إلى المظلات الملونة على رمال نيس.. الى قراميد البيوت اللبنانية الحمراء.. ولأظن أن قاموس نزار قبانى الشعرى له جنسية، فهو ليس مصريا ولا دمشقيا ولا لبنانيا.. إنه ينتمى لدولة الانسان، حيث عاصمتها المشاعر وقراها الإحساس! ونزار (منشد) يطلق (أرغوله) بين الشرايين والأوردة. وأحيانا تقيم قصائده تحت جفن أو تنام على ساعد، ولا يريد نزار أن نقرأ قصائده ونقتنى دواوينه، انما يريد إصغاءنا لشعره فوق شفاه عبدالحليم حافظ أو نجاة الصغيرة، مُغنى!

نزار.. وأنا

• لهذا سألت الشاعر عن إحدى بناته (أسألك الرحيلة) المغناة كيف استقبلت ميلادها.. و..؟

ولم يجعلني نزار أكمل عبارتي بل تغيرت نبرته واكتست بالغضب:

- لم أكن أنتظر أن عملاً كأسألك الرحيلة يمكن أن ينتظر ثلاث أو أربع سنوات ليرى النور. صار عندي إحباط وهبوط. تنقلت القصيدة بين الملحنين وأقفلت عليها الأدراج وأقيمت عليها الدعاوى. ثم جاء ميلادها في وقت ميت. كيف فات على عبدالوهاب أستاذ التوقيف، الإفراج عن القصيدة أثناء حرب الخليج؟! كان الأمر كارثة كبرى! لا الوقت كان وقت طرب ولا وقت شعر ولا وقت غناء! فالعمل لم يأخذ مساحته ولم يظهر في الوقت الذي كان ينبغي أن يظهر فيه. أنا أقارن بين عمليين من أعمالي. قصيدة (أيطن) عام ٦٠ التي فجرت الدنيا العربية من المحيط إلى الخليج، جاءت في وقت كان العصر الذهبي لها. كانت حادثة شعرية لم يسبق لها مثيل. أما أسألك الرحيلة، فقد ولدت ميتة!

• وأسأل نزار: هل ظهر صوت عبدالحليم حافظ يحرضك على أن تعطيه قصيدة؟

قال بسرعة:

بكل صراحة لا. أنا افتقدت عبدالحليم الانسان ربما أكثر من المغنى. يا أخى عبدالحليم فنان، وشاعر. لم يستطع أحد سوى عبدالحليم أن يلتقط الأشياء الصغيرة والرقيقة والحميمة فى شعرى مثلما استطاع هذا الرجل أن يلتقطها، لذلك هو الذى أشار على القصيدتين (قارئة الفنجان، ورسالة من تحت الماء) منذ أن قرأ أعمالى الشعرية التى قدمتها أنت له فى أحد أعياد ميلاده باعتباركما كما علمت أبناء برج واحد هو الجوزاء! ولم تظهر لى أعمال أكثر بهجة وجمالاً من هاتين القصيدتين. لقد رأيت عبدالحليم وهو يغنى قارئة الفنجان قبل أن يموت. كان يغنى بجهازه العصبى، بعينه، بقلبه، بشرائينه، لم يبق شىء منه إلا وتحول الى رماد وهو يغنى. لذلك سيمر وقت طويل طويل، وأؤكد على كلمة طويل قبل أن يأتى مغن مثل هذا (الشاعر)!

قلت لنزار:

• أنت أستاذ من أساتذة العشق، فهل تعتقد أن العاشق الذكى هو الذى يعرف الرحيل فى الوقت المناسب حتى لا يتحول الحب إلى وظيفة أو نوع من أنواع الخدمة العسكرية؟

ضحك نزار للتشبيه الأخير وقال بدون تردد أقول (نعم). فالعاشق الناجح هو الذى يتقن حساب المسافات، والمرأة الذكية هى التى تعرف أن تقول لحبيبها

وهى فى ذروة أشواقها (أسألك الرحيل).

قلت همسا:

• الالتصاق الطويل يقتل الحب؟

قال يكمل عبارتى:

لأن العناق المتسمر يخنق الأنفاس!

• لا اظن أن الأمر يحتاج إلى تكتيك وأجازة عاطفية؟

قال نزار صائحا:

الإجازة العاطفية هى بيت القصيد. إنها ضرورية كالأجازة الإدارية والأجازة الصحية وإجازة الولادة التى تأخذها المرأة الحامل لتريح جسدها وأعصابها من رائحة الرجل ومن غلاظاته!

ثم اعتدل نزار فى جلسته وتحنح مثلما يفعل عبدالوهاب وقال: اسمع ماذا أقول فى قصيدتى (النساء والمسافات) إنها تصوير دقيق لهذا الموقف.

اتركينى.. حتى أفكر فىك

وابعدى خطوتين كى اشتريك

لا تكونى حبيبتى رغم أنفى
فالبقاء الطويل لا يبقيك
ما تمنيت أن أحيلك زرا
فى قميصى أو معطفا أرتديك
انهضى عن تنفسي لحظات
فالحصار العقيم لا يجديك
أنت مثل النبىذ يحتسى برفق
فلماذا بلحظة أنهيك

قلت للزار:

أنت الآن فى مرحلة النضج الرجولى ولعلك بعد ٥٠ عاما من الشعر فهمت
المرأة..

أجاب الشاعر:

أولا، أنا لم أفهم المرأة ولا أظن أنه مطلوب من الشاعر أن يفهم المرأة، يجب
أن تظل وهما جميلا يغلفها غموض جميل. وأنا الآن مثلما تفضلت فى مرحلة

نضج وصرت أشد حكمة وأكثر حضارة. أنا الآن أكثر تفهما لطبيعة الأشياء. انتهى عصر الانفعال السريع والانبهار السريع ولم أعد أو من بجمال يبهرني للحظة الأولى. أنا الآن يبهرني الحضور الأنثوي، الفكر الأنثوي، الذكاء الأنثوي، المرأة العربية - صدقني - بحاجة الى أن تقدم نفسها للرجل العربي تقديمًا جديدًا. المرأة ليست فستانًا. وأنا قلت مرة إن أسوأ مصادر الشعر هي عارضات الأزياء، أنا لا أبحث عن موديل أو ملكة جمال. أبحث عن امرأة تقيم معي حوارًا حضاريًا. اليوم وأنا أكتب عن عاشقين في كافيتيريا لا بد أن يعبر بينهما صاروخ سكود أو باتريوت. كيف نستطيع أن نهرب من التاريخ، بعض النساء يعتبرن الكوافير هو وزارة ثقافتهن.. والكتاب الأجمل عندهن زجاجة عطر..

قلت لنزار قباني:

• أعطاك عبد الحليم حافظ الشهرة أكثر حين غني قصائدك؟

رد نزار وقال:

عندي رأى لا أخاف أن أعلنه!

قلت: كلي إصغاء..

قال نزار:

الموسيقار محمد عبدالوهاب هو الذى جعل أمير الشعراء أحمد شوقى شهيرا
ومقروءا على امتداد الوطن العربى، وليس العكس!
(ظهر على وجهى علامة دهشة).

عبرها نزار واستطرد يقول:

لولا محمد عبدالوهاب لبقيت (يا جارة الوادى) و(علموه كيف يجفوفجفا)
(وردت الروح على المصنئى معك) و(ياناعما رقدت جفونه) و(مصنناك جفاه
مرقده) و(ياشرعا وراء دجله) مطروحة مع ألوف الدواوين على سور حديقة
الأزيكية!

(ظهرت علامة تعجب على وجهى). عبرها نزار واستطرد يقدم حيثيات
رأيه:

لقد كان شوقى يشعر فى أعماقه أن شعره (المكتوب) سيكون جزءا من تراث
عصر النهضة، ولكنه كان يتطلع الى ما بعد عصر النهضة، بل كان يريد أن
يكون موجودا فى كل العصور.

وعندما استمع أمير الشعراء للمرة الأولى إلى صوت محمد عبدالوهاب
الجميل، الجديد، الواعد، أدرك بنبوءة الشاعر أن هذا الصوت سيكون جسره إلى

نزار.. وأنا

الجماهير ومفتاحه إلى الأزمنة القادمة.. إنها صفقة تاريخية مدهشة.. ربح فيها
محمد عبدالوهاب كنزا من القصائد وثروة شعرية لا تقدر بثمن.. وضمن فيها
أمير الشعراء أحمد شوقي كرسيًا دائمًا في كل العصور!
قلت لنزار:

أريد أن أعرف الفرق بين الشاعر والزعيم؟

لقد رأيتك في أمسيات شعرية وعندما دخلت القاعة احتفت بك الأكف
تصفيقا وكأنني أرى زعيما أمامي؟
قال الشاعر:

الزعماء يأتون ويذهبون، أما الشاعر فهو باق على هذه الكرة الأرضية ما
بقيت تدور.

هل تظن أن المتنبي مات؟ هل تظن أن شكسبير مات؟ هل تظن أن اللورد
بايرون مات؟

أنا أقرأ المتنبي الآن وأشعر أنه لا يزال في كل مجلس. نحن نستشهد بشعر
المتنبي وجارسيًا لوركا وعمر الخيام وغيرهم هادول - مفيد - محفوريين في
شرايين الأرض وجذورها. كلما طلع الربيع، يطلعون معه!

سألت نزار:

مدرسو اللغة العربية وآدابها يلعبون دورا خطيرا فى فتح شهية الطلاب الأدبية أو سدّها. فربما جعلها ساعة تعذيب وربما حول النصوص الجامدة الى نزهة فى ضوء القمر. أنت ماذا كان نصيبك؟

قال نزار:

إننى أدين لمدرس اللغة العربية الأول خليل مردم بك بهذا المخزون الشعري الراقى الذى تركه على طبقات عقلى الباطن. وإذا كان الذوق الشعري عجيبة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقرؤه فى طفولتنا، فإن خليل مردم كان له الفضل العظيم فى زرع وردة الشعر تحت جلدى وفى تهئية الخمائر التى كونت خلاياى وأنسجتى الشعرية!

قبل أن أبدأ فى إلقاء تساؤل جديد، بادرنى نزار بسؤال لم أتوقعه.

• وأنت ماذا فعل بك مدرس اللغة العربية؟

قلت على استحياء:

لست شاعرا وإن حاولت وأنا تلميذ فى مدرسة بنى سويف الابتدائية أن أكتب شيئا أقرب إلى الشعر فقال (السيد أفندى عبدالله مدرس اللغة العربية، أتذكر

الاسم جيدا) أمام الفصل (شعرك ركيك وأسلوبك وخطك أكثر ركاكة)
واستطردت ونزار يصغى (وأظن أن هذه العبارة القاسية التي أدمتني هي التي
صرفتني أن أقرأ بنهم ويكون لي أسلوب مقبول، ثم بذلت جهدا مضنيا لأحسن
خطي السيء!)

وضحك نزار وقال:

(لقد أردت أن تبعث لسيد أفندي أنك تجاوزت العقدة) وأومأت برأسي
وهمست لنفسى (أين سيد أفندي الآن)؟ جاءت أكواب الشاي الانجليزى الجميل
الايرل جراى الذى أفضله، وبدأنا نرشفه فى هدوء.
عدت أسأل :

• كيف تنحت كلماتك؟

من أين تأتى مفرداتك الشعرية.

إن أبجدية نزار قباني صارت محفوفة، ولغتك تتسلق الأصابع وتتسلل
للحناجروتنام على أرفف المكتبات!
قال نزار:

أنا لا أعرف من أين تأتي مفرداتي الشعرية! لا أعرف! أنا مثل راكب الدراجة، من الصعب أن أشرح لك كيف أركبها. نحن نؤدى عمليات الإبداع بشكل عفوى ولا نعرف. يعنى أنا لو فكرت كيف تأتى القصيدة، ما كنت كتبت شيئا، إنها خلطة كيميائية نفسية تاريخية، وأحيانا أقول: لست وحدى أكتب القصيدة!

قاطعت نزار بسؤال:

• هل يشاركك جمهورك فى كتابة قصيدتك؟

قال نزار بسرعة:

إذا كنت تعنى بالمشاركة أن هذا الجمهور يجلس على أصابعى عندما أكتب، فهذا غير صحيح، أما إذا كنت تعنى بالمشاركة أنى أستقطب هموم هذا الجمهور وانفعالاته وأتحسس بها كما تشم الخيول رائحة المطر قبل سقوطه فهذا صحيح. أنا أقف على أرض التوقع والنبوءة! أنا أشعر أن العصور كلها تكتب معى. فأنا أحمل تراثا فى أعماقى بالإضافة الى تجربتى الشخصية. أنا أشعر أن هذه الخلطة الإبداعية مجهولة المنبع! كل الذى أفهمه أن وظيفة الشاعر أن يحرق خيمة أهل الكهف ويزرع الألغام تحت قطار عصر الانحطاط. ولعل من أهم

انجزأتى أنى قلبت طاولة اللغة وجعلت الشعر جمهورية شعبية ديمقراطية.

قلت لنزار:

• إنك شاعر تصادمي؟

قال:

هذا صحيح إذا لم أجد من (أتخاف) معه، تخانقت مع ورق الكتابة.

قلت:

• قصائدك السياسية منها. قصائد انتحارية؟

ابتسم نزار وقال:

خلال ٥٠ عاما، كتبت ألوف القصائد الانتحارية ولم أفكر أن أومن على أصابعي لدى أى شركة تأمين. لا قيمة لشاعر لا يحدث شغبا داخل اللغة وشغبا فى قشرة مجتمع التخلف! يا أخى أصبح عرب المنفى أكثر من عرب الداخل، حتى صار يحق لهم أن يحصلوا على مقعد فى هيئة الأمم المتحدة! أنا منقلب على كل شىء حتى على لون عيني وفصيلة دمى! والشاعر - يا سيدى - الذى يقبل أن يدخل بيت الطاعة، يسخر بكارته وبكارة الشعر.

قلت لنزار:

• كشف لي الشاعر محمود درويش وأنا أحاوره مرة في عمان عن شيء خاص في حياته قال، ياعزيزي مفيد حياة الشاعر مع شاعرة في بيت واحد كارثة كبرى؟

رد نزار:

هذا صحيح. لا يمكن أن تضع النار على النار وتطلب أن يتقطر منها الماء. الشاعر برق والمرأة الزوجة الشاعرة برق فتصور حين يتزوج البرق من البرق، لن يكون أولادك سوى حرائق، وأنا مع محمود درويش تماما. فقد كانت بلقيس تصادق قصائدي.. وتدليني!

كانت بلقيس تعرف جيدا أنه حين يطلب الي أن أختار بين المرأة والقصيدة، أختار القصيدة بدون تردد!

قلت لنزار:

• هل سقطت بيروت منك سهوا؟

قال بغضب: لا يسقط الزمن الجميل مني مطلقا! ولكن الوقت احترق وأوراقنا احترقت، وضافائر حبيبائنا احترقت، حتى الماء احترق في بيروت. لا يوم في بيروت. هناك (ثوان) في بيروت. اليوم التوقيتي الذي تعارفوا عليه. انكسر

نزار.. وأنا

الزمن اللبناني، انكسر.

قلت لنزار:

• لك ثلاث قصائد تحمل ثلاثة أسماء، عبدالناصر وتوفيق وقصيدة

بلقيس؟

قال نزار:

القصائد تتجاوز الأشخاص. القصائد صارت (حزب معارضة) صارت
(قضية).

• قلت مرة.. يا أستاذ نزار. في إحدى قصائدك؟

سـيـدـتى

عندى فى الدفـتر

ترقص آلاف الكلمات

واحدة.. فى ثوب أصفر

واحدة.. فى ثوب أحمر

يحرق أطراف الصفحات

أيها الناس

أنا الحجاج.. إن أنزع قناعي تعرفوني

وأنا جنكيز خان، جنّتكم

بحرابي وكلاهي وسجوني

لاتضيقوا أيها الناس ببطشي

فأنا أقتل، كي لا تقتلوني

وأنا أشنق، كي لاتشنقوني

وأنا أدفنكم في ذلك القبر الجماعي

حتى لاتدفنوني

ثم رشف نزار من كوب ماء أمامه رشفة واستطرد (يغني)

أيها الناس

أنا المسئول عن أحلامكم، إذ تحلمون

نزار.. وأنت

أشياء منظورة وأخرى غير منظورة بحكم سباحتك ضد التيار. فأنت الذى
بعثت الحياة فى أوصال الحروف، فتبعثها صبية تضج بالحياة،
وأنت الذى برهنت لنا على قدرة لغتنا للنماء والتطور واستيعاب كل
التجارب الانسانية التى يموج بها عالمنا الداخلى. قل لى خلاصة التجربة مع
المرأة؟

قال نزار:

المرأة تتزوج الغول بعد أن تستشير النجوم والأبراج وفناجين القهوة، وبعد أن
يأكلها الغول، تخرج من بين أضراسه مرة ثانية وتتزوجه!
قلت:

خلاصة التجربة مع الكتابة؟

قال نزار:

إن رضى الكاتب أن يكون مرة دجاجة. تعاشر الديوك أو تبيض.. أو تنام
فاقرأ على الكتابة، السلام!
سألت نزار قباني:

• هل تشعر بالزهو لأنك شاعر مقروء ومسموع ومرئي؟

قال (بزهو):

إذا كان جورباتشوف قد نادى منذ سنوات بالبريسترويكا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن التغييرات التي أحدثتها في لغة الشعر منذ خمسين عاما هي أيضا بريسترويكا نزارية؟



- من قصائد نزار قباني بخط يده ...
يقلمه، الذي عانق أصابعه.
- وما عادت هذه الأصابع تنسخ ذلك
الهذيان الجميل الذي طالعنا على
مدى نصف قرن.
- سكت نزار .. ولكن صوته يتردد في
كل البقاع

انتقي أنت المكان !!

انتقي أيمت مكان

عندما ~~أنت~~ أنت أو شقة يطرحها الرمل ..

أيمت مقرى ~~بعض~~ بعض داخل كالسيف في البحر ..
انتقي أيمت مكان ..

عندما تخطر في بيروت .. أصدح الى بعض الخنا
فادخلني في معطف المبتل بالماء (استحي في كرتاني ...)
X ادخلي في كنزة الصوف .. وفي جلدي ، وفي صوتي ..

X اشترى لي صوف اليوم ..

و أقلام رصاص ..

وبنينا .. ودخان ..

عائيتني في اليد رين ..

أصدح كالنبيب في منتصف الليل ..

أصيحف قليلا ..

والسري أنظرة اليه قليلا ..

واتري بي يدك العين قليلا ..

قهرية أنت إلى أين ؟

ذهان الحب في بيروت قبل الله في كل مكان !!

تخطيط أولى

لقصيدة «بيروت والحب والمطر»



تزارقباي

نزار قباني

نشرت في جريدة «العالم اليوم» ٤ مايو ١٩٩٨

الشاعر كائن استثنائي يستثنى من ذلك موقفه من الموت!

خمسة وسبعون عاما.. في برارى الحياة، منها خمسون عاما مطرزة بالشعر، وأطفاً القنديل كلمات أربع «نزار في ذمة الله».

رحل الشاعر الذى أسعد القلوب بمرض القلب!

بكاه بحرقة العشاق فى كل مكان، وانتحبت القصائد واضربت الدواوين الشعرية عن الطعام، ونكست جمهورية الحب الديمقراطية أعلامها وأصدرت بيانا تعلن فيه أن نزار قباني لم يميت لأن الشعراء لا يموتون، إنهم أحياء فى الصدور يسكنون الشرايين والأوردة. اعتصمت النساء فى بيوتهن، ورفضن الخروج لأن «أكبر المحامين، قد مات، كانت المرأة عند نزار قضية، يدافع عنها باستبسال ويريدها مواطنة من الدرجة الأولى، لا تابعة أو دمية فى البيت تقدم لشهريار وجبة شهية فوق الفراش.

استراح شعراء حقدوا على نزار واتهموه ظلما أنه شاعر «التنهيدات والحلمات، لأنه كان الشاعر الأكثر شعبية ولأنه كان يملك - فى مكان ما غير معلوم - مناجم كلمات يصوغها ويلحها ويرصع حروفها بمصنعية نزارية، تتلقفها الدواوين بين ذراعيها بحنان ونبحث عنها فى المكتبات، نفتش عنها، ومن غيره كان يجدل من تفاصيل العشق الصغيرة ضفائر هوانا ويمشطها فنختال وتهتز خلجاتنا برعشة حار الأطباء فى تفسيرها!

ويا سيدى القائد السورى حافظ الأسد إذا كنت أمرت بدفن جثمان شاعرنا العربى السورى فى تراب دمشق وخطبتها فهو مدفون أيضا فى كل غوطة عربية، بل لست

أبالغ لو قلت إن نزار قباني يرقد تحت شرفة كل عاشق وعاشقة، لقد كان يشاهد الحكاية منذ كانت نظرة حتى صارت أرقاً بين الجفون ووجعا بين الصلوع.

صوتك - يا شاعرنا - فى أذنى وأنت تتلو قصائدك وكان هدير كالبزيف الروحى المستحب، وصفوك يومئذ بأنك «الممثل»، لأنك القادر أن تسقى حروف قصائدك الإحساس والدفء. وصفوك بأنك «الرجسى»، ونسوا أن أنصاف المواهب يستنشقون بجسارة نصف أكسجين الدنيا.. وكيف لا يزهو «أمير الشعر والشعراء» بنفسه؟ صاحب اللغة النزارية فى الشعر، الساكن فى الوجدان العربى، المغناة قصائده من حناجر الطرب، المحرض على الحب كما قال لى الشاعر «الماغوط» يوما: الذى خلص اللغة من الرسميات، المؤسس لجمهورية من الشعر قوامها مائة مليون عربى.

الناطق بلسان بلغة الناس فأحبه الناس، الطفل الذى لعب بكرة الشعر مع الأطفال بعد أن كسر صرامة القواميس وجفاف المعانى، سيحزن على رحيل نزار «رفقاء الكلمة»، الذين أحبوه شاعرا وإنسانا: عادة السمان، سعاد الصباح وفيروز ونجاة: سيذرفن الدمع بحضارة دون أن يولولن، فقد علمنا نزار أن نحزن بحضارة، وستبكيك بلقيس - يا أمير الشعر - فى قبرها الذى سبقتك إليه وتواعدتما على اللقاء يوما، وسعيد قراءة قصائدك من جديد من طفولة نهد إلى هوامش على دفتر النكسة، ومن الحب إلى السياسة ومن ارتعاشة القلب إلى ثورة العقل، كنت تعتذر لنا بشعرك عن ركافة الحياة وبعض قبحها، فكل قصيدة كانت «مزهية» فى جنابات نفوسنا وعطرها لا يذهب، يا من كسبت حب وتقدير ملايين الناس وخسرت بعض نقاد الحنطة الذين أنكروك!

ويعضى نزار إلى الأرض التى أنجبته ولا يبقى سوى وسيلة حضارية للاحتفاء بنزار، غير السراقات الكلامية، «جائزة» تحمل اسمه تذكرا دائما أنه لا شئ يصعد بالفنان إلى مرتبة المصداقية سوى الموهبة القذيفة والموت إخلاصا للشعر.

نم فى سلام، أيها العازف العنون على أوتار القلوب والمغنى العذب فى الشوادر والأمسيات.. نم فى سكون، فقد عشت دربا من المعارك كان سببا وراء العطب الذى أصاب قلبك.

يكفيك يا نبي الحب، أننا ورفقاء جيلى، كنا نستعير عبارات من قصائدك نكتبها لحبيبائنا، كنت المتحدث الرسمى بلا منازع للحب، وترينا على دواوينك وتدفقت الدماء بحرارة يوم اكتشفنا المغامرة الأولى مع.. امرأة! نم إلى جوار ابنك توفيق ورفيقة دريك بلقيس، فقد جلست وأهديتنا خدمة ضوء ساطعة.. بددت عمتنا، ومضيت.

لكن بعض الموتى، أحياء.. وبعض الأحياء موتى بالفعل!





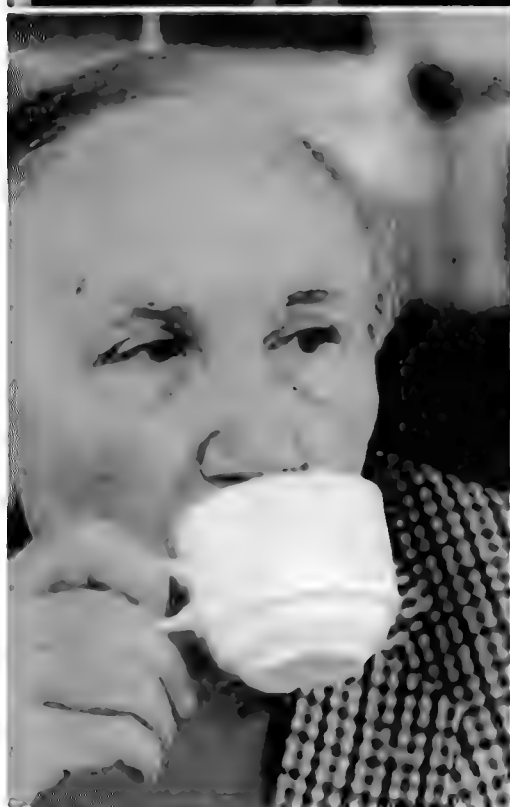
































الحوار... بالصور
عدة : فاروق ابراهيم



إني الدمشقي الذي احترق الهوى

فاحترق به لغتائه الأخشاب

أحرقته من خلفي جميع مراكبي

إن الهوى أن لا يكون إياب

أنا فوق أجفان النساء مكسر

قطعا فعمري الموج والأخشاب

نزار قباني

السعر: ١٢ جنيهاً